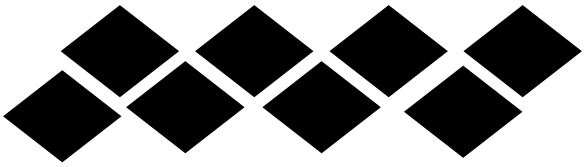

# أقوال موسى عليه السلام لبني إسرائيل في القرآن الكريم وإيحاءاتها النفسية

## "دراسة بلاغية"

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

**د/ حمد اللّه عبد الحكيم محمد**

**مدرس البلاغة والنقد الأدبي**

**كلية الآداب بقنا- جامعة جنوب الوادي**

# أقوال موسى عليه السلام لبني إسرائيل في القرآن الكريم وإيحاءاتها النفسية "دراسة بلاغية"

## مُقَدِّمَة:

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(إبراهيم:٥)

تنبئ أقوال موسى –عليه السلام– عن شخصية شجاعة في الحق؛ فقد تعرض للأهوال في سبيل دعوته، وعانى معاناة شديدة في توصيل رسالة ربه من جهتين؛ الأولى: إرساله إلى أشهر من ادعى الألوهية على الأرض، وليس بيسير أن يذعن فرعون لهذا الذي يدعي أن هناك إلها غيره، والثانية: مواجهته قوما مطلا عرفوا بالعناد والتكبر وسرعة الشرك ونقض العهد وقتل الأنبياء، وأصيبوا من البلاء ما لم تصبه أمة مثلهم، ورغم كثرة الرسالات المنزلة عليهم إلا أن ذلك لم يك يوما يؤثر في انحراف سلوكهم وافترائهم على الله وعلى أنبيائهم.

وإن مثل هذه الشخصية القرآنية الفذة – شخصية موسى عليه السلام– تستحق أن ينظر في أقوالها، ويُستضاء بأسلوبها ؛ لِيُنتفع به في الحوار مع الآخر بما يتلاءم مع نفسيته، ويتوافق مع مستواه الفكري والعقدي.

وينظر البحث فيما صدر عن موسى–عليه السلام– من أقوال توجه بها إلى بني إسرائيل في القرآن الكريم وإيحاءاتها النفسية دراسة في بلاغة النظم القرآني المعجز، وقد توزعت أقواله –عليه السلام– على سور: البقرة، والمائدة، والأعراف، ويونس، وإبراهيم، وطه، والقصص، والنمل، وغافر، والصف.

وركزت الدراسة على أقوال موسى لبني إسرائيل من جهة موسى– عليه السلام– بغية الوقوف على الأسرار البلاغية للأقوال على مستوى المفرد والتركيب والصورة وربط ذلك بالإيحاءات النفسية؛ ثم الوقوف على جملة المقامات وسياقاتها في تعبيراته لبيان الإيحاءات الملائمة لكل مقام.

وقد اشتملت الدراسة على خمسة مباحث: المبحث الأول: الاختيار المعجمي للألفاظ ودلالاتها النفسية، والمبحث الثاني: دلالات التراكيب وإيحاءاتها النفسية، والمبحث الثالث: الصور البيانية ودلالاتها التعبيرية، والمبحث الرابع: الأساليب البديعية وخصائصها الأسلوبية، والمبحث الخامس: السياق والمقامات التعبيرية للإيحاءات النفسية وعلاقة ذلك بأسلوب الدعوة وشخصية موسى عليه السلام.

## تمهيد:

ركزت الدراسة على أقوال موسى –عليه السلام– التي وردت في القرآن الكريم؛ لتقف على إيحاءاتها النفسية وإشاراتها الدلالية، وتبرز جانبا من البلاغة القرآنية؛ هذا الجانب الذي يقف على زاوية من زوايا الحوار مع بني إسرائيل؛ لنتمكن من بسط القول في هذا الجانب الذي يبين طريقة الدعوة إلى الله، وكيف خاطب موسى–عليه السلام– قومه.

يتبين من أقوال موسى –عليه السلام– في القرآن الكريم أنه خاطب بني إسرائيل، كما خاطب بعضهم خطابا خاصا، وهو يدخل ضمن خطابهم، وقد جاءت أقواله –عليه السلام– على النحو الآتي:

### ١–أقوال موسى–عليه السلام– لبني إسرائيل

خاطب موسى–عليه السلام– بني إسرائيل خطاب من يرفق بهم ويحنو عليهم مستخدما أسلوب النداء الدال على القرب؛ قال تعالى:﴿وَإِذْ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾(المائدة:٢٠)، وأحيانا يقول القرآن:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧) دون ذكر النداء، وفي أحيان أخرى يقول مباشرة:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾(إبراهيم:٨)

### ٢–أقوال موسى لأخيه هارون –عليهما السلام–

جمع القرآن بينهما في الرسالة لطلب موسى ذلك؛ قال تعالى على لسانه: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي**﴾(طه:٢٩–٣٠)، وذكر القرآن تقويته بأخيه؛ فقال:﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾(القصص: ٣٥)، ويظهر خطاب موسى –عليه السلام– مع أخيه هارون–عليه السلام– عند غضبه عليه؛ لأنه لم يصرف بني إسرائيل عن عبادة العجل، وجاءت القصة في موضعين من القرآن الكريم في الأعراف؛ قال تعالى:﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**

**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(الأعراف: ١٥٠)، وفي هذا الموضع لم يذكر القرآن قولا لموسى–عليه السلام–، وإنما ركز على شدة الغضب، ويظهر من كلام هارون الإجابة على قول موسى –عليه السلام–الذي لم يقله.

وجاء في سورة طه؛ قوله تعالى:﴿**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ۝ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾(طه:٨٦-٨٧)، إلى قوله تعالى حكاية عن موسى مع هارون –عليهما السلام–:﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾(طه:٩٢-٩٤)

**٣– قول موسى–عليه السلام– للسامري**

السامري من قوم موسى–عليه السلام–، وكانت ثورة موسى–عليه السلام– نابعة من رفض التبديل والتغيير الذي جاء به السامري، ودوره الخبيث في صرف قومه إلى عبادة العجل، وهو يعلم عن السامري اتِّباعه له من قبل؛ فراعه ما جاء به السامري؛ لذلك كان العقاب سريعا، وظهر في أسلوب موسى–عليه السلام– مع السامري شدة لم نعهدها مع أحد من قومه من قبل؛ قال تعالى:﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۝قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾(طه:٩٥– ٩٧)

**٤– قول موسى –عليه السلام– لأهله**

خاطب موسى أهله في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، جاءت واصفة لموقف الطور، ورؤية النار، والتكليف بالرسالة؛ قال تعالى :﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾(طه:٩- ١٠)، وفي الموضع الثاني في سورة النمل؛ قال تعالى:﴿**وإِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾(النمل:٧)، وفي الموضع الثالث في سورة القصص؛ قال تعالى:﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾(القصص:٣٠)

## ٥- قول موسى -عليه السلام- لمن استنصره من بني إسرائيل

تدور الآيات حول نصرة موسى لمن طلب نصرته من قومه على عدوه من قوم فرعون فهب لنجدته، لكنه ندم على فعلته، التي خلفت قتيلا لم يك من موسى-عليه السلام- نية في قتله، ولما أصبح الصباح مر على الرجل نفسه وسمع صوته يدعوه إلى نصرته مرة أخر؛ وحكى القرآن قصته قال تعالى:﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**﴾(القصص:١٥)، ثم قال:﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾(القصص:١٨).

## المبحث الأول: الاختيار المعجمي للألفاظ ودلالاتها النفسية

يركز هذا المبحث على عدد من الألفاظ التي دار حولها السياق في أقوال موسى–عليه السلام–، فكانت ألفاظا محورية موحية معبرة عن نفسيته المتشوقة إلى إيمان قومه وتسليمهم بدعوته حرصا عليهم، والاختيار من أعلى درجات البلاغة، وفيه تعبير عما تجيش به نفس القائل من عواطف، تظهر من اختيارات ألفاظه الحاملة للمعاني، فيميل إلى سرعة وقع اللفظ على السامع لينتبه إلى مقالته، لتترك تأثيرها الذي يبغيه ويحرص على توصيله؛ وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني عن تخير المعاني وتناسقها في ألفاظها وعلاقة ذلك بالنظم وسياق الحديث: "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها، وترتيبه إياها، إلى ما لم يتهد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب"[1]، ولا شك أن المراد من الحديث عن التخير؛ إبراز القيم الإعجازية للنص القرآني، وطرق تعبيره عن النفس البشرية، وبخاصة نفسية موسى –عليه السلام– في حال الغضب والرضا.

والعناية باختيار اللفظ هو طريق العناية بالمعنى، وقد اهتم العرب باختيار اللفظ لمعرفتهم بدوره في أداء المعنى؛ يقول ابن جني: "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها؛ فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها"[2]، والقرآن الكريم ليس بمعزل عن حسن الاختيار الإعجازي، وترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني وسريانها في النفس، وبخاصة ما يتصل بهذه الدراسة التي يظهر فيها حسن الاختيار؛ لإبراز دقائق الدعوة عند موسى–عليه السلام–.

---

١) دلائل الإعجاز، ص١٢٢.

٢) الخصائص، ٢١٨/١.

وفي السطور القادمة نعرج على معجم سيدنا موسى–عليه السلام– وما ورد في أقواله من ألفاظ كان لها بالغ الأثر في التعبير عن حالته النفسية ورسالته الدعوية.

قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)

﴿**بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**﴾ ورد اتخاذ العجل في القرآن الكريم في أربعة مواضع غير هذا الموضع: في سورة البقرة الآيتان:٥١، و٩٢، وسورة النساء الآية ١٥٣، وسورة الأعراف الآية ١٥٢. وقال في موضع آخر(وأشربوا)؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾( البقرة: ٩٣)، والآية في سياق "تذكير بني إسرائيل بما تقدم وجهه في سياق دعوتهم إلى الإسلام"[1] وقال: باتخاذكم العجل، ولم يقل بإيمانكم بالعجل، فأتي بالاتخاذ وهو متعد وحذف كونه معبودا؛ أي: باتخاذكم العجل إلها؛ لعلم المخاطب بذلك، واتخذ من الفعل:" تَخِذَ بمعنى أخذ، واتّخذ: افتعل منه"[2].

والواضح من قول موسى –عليه السلام– أنهم أخذوا هذا الباطل على علم بعد أن نجاهم من فرعون بمعجزة من أكبر المعجزات، فعبدوه عن قصد، ويبين الفعل حالهم مع أنبيائهم وكفرهم مع كثرة المعجزات والرسل التي أرسلت إليهم، ولعل ذكر الاتخاذ وعلاقته بالعجل وتكراره يشير إلى قصد الاعتناق وحب الحيدة عن المنهج الإلهي وهي من أمراض قلوبهم التي اشتهروا بها، كما أوضح قوله:﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ شدة الافتتان به.

﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**﴾ يتبين من سياق الآية عظم جرمهم وتعمدهم الكفر والضلال البعيد؛ لذا عبر موسى عليه السلام في مقالته عنهم، وردَّ توبتهم إلى بارئهم،

---

١) تفسير المنار، ١/٢٦٥.

٢) المفردات، (مادة: تخذ).

واختار هذا اللفظ دون غيره من الأسماء الحسنى والصفات العلا" وفي قوله ههنا (إِلَى بَارِئِكُمْ) تنبيه على عظم جرمهم"[1]، والباء والراء والهمزة أصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءا، والبارئ الله جل ثناؤه. والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم [2]، وتدور معاني اللفظ حول الخلق والتباعد والانتقال من حال إلى حال.

والخلق إخراج من عدم، والبرء مرحلة تالية للخلق، ولعل هذا الترتيب جاء في قوله تعالى:﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ**﴾(الحشر:٢٤)، فالخلق أولا ثم البرء ثم التصوير، واختار لفظ البارئ دون غيره؛ دليلا على أن الله "هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم؛ الذي برأهم أبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر؛ الذي هو مثلٌ في الغباوة والبلادة"[3].

ووافق الإتيان بلفظ الاتخاذ لفظ البارئ ليناسب تشديد العقوبة؛ فجزاء التوبة قتل النفس بأية طريقة كانت فقد اختلف العلماء في قتل أنفسهم، والواضح قسوة العقاب؛ ليناسب مخالفتهم أمر ربهم بعدما تبين من الآيات والبراهين، ويتجلى عدل الله تعالى فلم يأخذهم بما أخذ به غيرهم من الأمم؛ ولكن جاء العقاب موافقا لحالهم غاية الموافقة فمن أراد أن يتوب الله عليه؛ فليثبت صدق توبته.

**وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(الأعراف:١٥٠)

﴿**غَضْبَانَ أَسِفًا**﴾ صور القرآن الكريم حال موسى –عليه السلام– وشدة غضبه بذكر لفظ الغضب يتبعه الأسف على ما بدر من بني إسرائيل، وبيَّن قبل ذلك أسباب

---

١) مختصر تفسير ابن كثير، ٦٤/١.

٢) مقاييس اللغة، (مادة: برأ).

٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي ١/ ٨٩.

هذه الثورة العظيمة منه عليه السلام، وكان لهذا الوصف دوره في فهم الصورة وفهم أقوال موسى –عليه السلام– بعد ذلك، كما ذكر غضبه في موضع آخر من القرآن في سورة طه؛ قال تعالى: ﴿**فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾(طه:٨٦)

﴿**غَضْبَانَ**﴾ **والغضب**: فيه شدة وقوة وتغير في ملامح الوجه، ويقولون: "غضبان للممتلئ غَضَبًا؛ فبناءُ فعلان للسّعة والشمول"[١]، وروي عن النبي –صلّى الله عليه وسلم–؛ قوله:(ألا وإنّ الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحسّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض)[٢]، ويتبين من ذكر مادة الغضب في القرآن الكريم أن بني إسرائيل حظَوا بنصيب كبير منه؛ لأفعالهم المخالفة للشرائع أعظمها قتل الأنبياء، والإشراك بالله رغم ظهور الآيات والبينات.

وصفت الآيات موسى –عليه السلام– بالغضب والأسف لفعلهم، ثم انتقلت إلى بيان غضب الله تعالى عليهم، وقد وصفوا بالغضب عليهم في مواضع شتى من القرآن الكريم؛ قال تعالى:﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾(الفاتحة:٧)، وقوله تعالى:﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾(البقرة:٩٠)، وقال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾(المجادلة:١٤)، وروي عن النبي صلّى الله عليه وسلم قوله:(إنّ المغضوب عليهم اليهود، وإنّ الضالين النصارى)[٣].

وقد وسموا بهذا الصفة وألصقت بهم في عموم القرآن لتكذيبهم المتكرر، وذكر الغضب في موضعين متتاليين: الأول: غضب موسى –عليه السلام– ، وأما الثاني: فغضب الله عليهم؛ قال تعالى:﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي**﴾(الأعراف:١٥١)، ثم قال بعدها: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ**

---

١) بصائر ذوي التمييز، ٥٤/٣.

٢) سنن الترمذي، ٤٨٣/٤، وانظر/ كتاب الفتن في عارضة الأحوذي، ٣٥٨/٦.

٣) مسند أحمد، ص١٢٤، وانظر: الدر المنثور، ١/ ٤٢.

**غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾(الأعراف:١٥٢)، فذكر أعلى درجات الغضب لمجيئها على صيغة فعلان التي تحمل معنى الاضطراب، ويظهر ذلك عند مجيء المصدر على هذا الوزن؛ كندمان وعطشان.

﴿**أَسِفًا**﴾ **الأسف:** "شدَّة الحزن، يقال: أسف-بالكسر- يأسف أسفاً؛ قال الله تعالى:﴿**غَضْبَانَ أَسِفاً**﴾ أي: شديد الغضب، ويقال: أسف عليه: أي: غضب؛ وذلك لأنَّ الغضبان لا يخلو من حزنٍ ولهفٍ، والأسيف والأسُوْفُ: السريع الحزن الرقيق القلب"[١]، ويقول الراغب: "الحزن والغضب معاً، وقد يقال لكل واحدٍ منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبا، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنا"[٢]، والواضح من معاني الكلمة وسياق الآية أن الأسف يحمل في طياته معنى الغضب؛ وورود اللفظين متتاليين يبين شدة غضب موسى -عليه السلام-، ويزيد الأسف على الغضب إفادة التحسر.

وقال تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾(غافر:٢٧)

﴿**عُذْتُ بِرَبِّي**﴾ ورد لفظ الاستعاذة في أقوال موسى -عليه السلام- في موضعين غير هذا الموضع؛ الأول: في سورة البقرة؛ في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧)، وفي الدخان في قوله تعالى على لسان موسى-عليه السلام- أيضا:﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ**﴾(الدخان:٢٠)، والعَوْذُ: "الالتجاء، كالعِياذ بالكسر والمَعاذ والمعاذة والتعوُّذ والاستعاذة، عاذ يعوذ: لاذ به ولجأ إليه واعتصم"[٣]؛ فالاستعاذة تعني: الاعتصام بالله تعالى وطلب الحفظ والرعاية؛ لذلك وافق الكلام ذكر الرب دون غيره من أسماء الله وصفاته، ويُظهر القول شدة تمسك موسى -عليه

١) العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصاغاني، (مادة: أسف).

٢) المفردات، (مادة: أسف).

٣) تاج العروس، للزبيدي، (مادة: عوذ).

السلام- بالله تعالى وطلب الحفظ منه؛ فذكر الضمير متصلا بالفعل، وذكر ياء المتكلم متصلة بالرب، "وخص اسم الرب؛ لأن المطلوب هو الحفظ والتربية، وإضافته إليه وإليهم للحث على موافقته في العياذ به تعالى"[1].

وللاستعادة قيمة عظيمة علمها ربنا لرسوله؛ فقال:﴿قل أعوذ﴾ سورتي: (الناس، والفلق)، وجاءت في أقول موسى-عليه السلام- في ثلاثة مواضع؛ لأن"الاستعاذة بالله تصون الإنسان من شياطين الإنس والجن، فإذا قال المسلم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساوس شياطين الجن، فكذلك إذا قال المسلم: أعوذ بالله، فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات"[2].

قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(الصف:٥)

﴿**لِمَ تُؤْذُونَنِي**﴾الأذى هو "الشيء تكرهه ولا تقر عليه"[3]، واختار لفظ الأذى دون غيره؛ لأنه يحمل نوعا من الضرر، والمراد هنا عصيانهم وعدم الطاعة لما أمرهم به؛ إذ غلب عليهم العصيان طوال فترة رسالته، فمن عبادة للعجل، إلى رفض قتال الجبابرة عند دخول الأرض المقدسة إلى غير ذلك.

وذكر القرآن قلة صبرهم وتضجرهم من موسى -عليه السلام-، "وقولهم الذي قالوه في موسى -عليه السلام- هو ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قولهم لموسى -عليه السلام-:﴿**أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا**﴾(الأعراف:١٢٩) وكان ذلك ردّا على قوله لهم:﴿**اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(الأعراف:١٢٨)؛ فهذا القول هو اتهام له، وتكذيب بالوعد الذي وعدهم إياه بأمر ربه"[4]، وسورة الأعراف سابقة لسورة الصف في القرآن الكريم، فما قالوه لموسى

---

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود ٧/ ٢٧٤، وانظر/ حدائق الروح والريحان، ١٦٦/٢٥.

٢) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ١٠٨/٢٤.

٣) مقاييس اللغة، (مادة: أذي).

٤) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ٧٥٩/١١.

-عليه السلام- حيث جعلوه السبب فيما نزل بهم من مصائب؛ عدَّه موسى من قبيل الأذى وعدم الاستعانة والصبر، والإيذاء عندهم جسدي وعند موسى -عليه السلام- نفسي؛ لأنهم نسبوا إليه ما وقع عليهم قبل رسالته وبعدها.

وورد الإيذاء في حق موسى-عليه السلام- مرة أخرى من قبل عندما قالوا فيه أقوالا؛ بأن فيه مرضا لرفضه الاغتسال معهم؛ أو لغير ذلك مما ذكره المفسرون، قال تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾(الأحزاب: ٦٩)

وذكرت الآيات في سياق "العظة والزجر والتمثيل بما كان من قوم موسى إزاء موسى -عليه السلام- من مواقف مؤذية محكية عن لسانه مع تأكدهم بأنه رسول الله إليهم، وبما كان من انتقام الله منهم حينما انحرفوا عن جادة الحق حيث أزاغ الله قلوبهم؛ لأن الله لا يمكن أن يوفق ويسعد الفاسقين المتمردين عليه"[1].

**قال تعالى:**﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾(المائدة:٢١)

﴿**الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ**﴾القدس تعني الطهارة، والأرض المقدسة؛ أي: الأرض المطهرة المباركة، و"أرض بيت المقدس، قدسها الله، حيث جعلها قرار أنبيائه ومسكن المؤمنين"[2].

واختار إبراز حقهم وملكيتهم لهذه الأرض إن هم دافعوا عنها؛ حرصا منه وحثًّا على الدخول والموت في سبيلها، فكان قوله تحفيزا على التقدم وعدم التقهقر، وأردف ذلك بأن هذه الأرض لهم من قديم، ونهاهم عن الارتداد والانقلاب ونعتهم بالخسران إن هم تركوا مؤونة الدفاع عما كتب لهم؛ فجمع السياق الأمر والنهي، لإبراز دعوته وتأكيد حرصه عليهم.

---

١) التفسير الحديث، دروزة محمد ٨/ ٥٦١.

٢) البحر المديد، لابن عجيبة، ٢/٢٦.

﴿**وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ**﴾ الرد: "صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله؛ يقال: رددته فارتد"[1]، ويحمل الارتداد هنا الرجوع، وفيه معصية أمر الله بالدخول، وبيان ذلك أن رفض هذا الأمر هنا قد يودي إلى الشرك بالله، والارتداد كما يراه القشيري على قسمين: الأول: عن الشريعة وإقامة العبودية وذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل، والثاني: عن الإرادة وذلك يوجب الشّقوة–التي هى الفراق–على القلوب"[2]، وفي النهي عن الارتداد إشفاق من موسى –عليه السلام–، ورغبة منه في إقناعهم بكل الوسائل الممكنة حتى يذعنوا لأوامر الله التي تحمل مصلحتهم وهو غافلون عنها، كما وافق ذكر الارتداد ذكر الأدبار ثم الانقلاب؛ ليخرج القول على وجه مراعاة النظير والمناسبة المعنوية مخرجا غاية في التناسق والروعة وإقامة الحجة عليهم؛ لأنهم لم يمتثلوا لأمر الله ونهيه.

---

١) المفردات، (مادة: ردَّ).

٢) لطائف الإشارات، للقشيري، ٤١٦/١.

## المبحث الثاني: دلالات التراكيب وإيحاءاتها النفسية

نعني بدلالات التراكيب، دراسة الكلمات في سياق الجملة وما تعبر عنه من دلالات تفصح عن الإيحاءات النفسية لنبي الله موسى –عليه السلام– وعن طريقة دعوته لقومه؛ فتنظر الدراسة في اختيار تراكيب لها أثرها في البوح عما كان يعانيه نبي الله موسى مع قومه، ومن هذه التراكيب: التعريف والتنكير داخل الجملة ودلالتهما في السياق، وتراكيب الجملة الخبرية والإنشائية، وقصر الجملة وطولها من خلال: إيجاز الحذف والإطناب مع بيان حاجة الكلام إليهما، وأثر التقديم والتأخير، والفصل والوصل، وأسلوب الالتفات داخل الجملة ودورهم في إبراز مكنونات النفس.

### المطلب الأول: دلالات التعريف والتنكير في السياق

التعريف والتنكير ركنان أساسيان في نظم الكلام، ويأتيان لقيمة بلاغية معينة، فإذا أردت الدلالة على معين كان التعريف أولى، وإذا أردت التعميم كانت النكرة أقوى في الاختيار، والسياق والمقام وأحوال المخاطب هو الذي يفرض على المتكلم هذا أو ذاك، وفي أقوال موسى –عليه السلام– يظهر استعمال التعريف والتنكير بغية الوصول إلى الغرض الأسمى من الأقوال، ودلالات التعيين أو التعميم.

#### أولا: دلالات تعريف الكلمة داخل الجملة:

قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)

جاءت إضافة القوم إلى موسى –عليه السلام في أكثر أقواله معهم، وفي قوله:﴿**يا قوم**﴾أضاف القوم إلى نفسه، وأضاف نفسه إليهم إضافة اختلاط، وامتزاج، فكأنه منهم وهم منه، فصارا كالجسد الواحد فهو يريد لهم ما يريد لنفسه، وإنما يضرهم ما يضره وما ينفعهم ينفعه... وذلك إشارة إلى استمالة قلوبهم إلى قبول دعواه، وطاعتهم له فيما أمرهم به، ونهاهم عنه[1].

---

١) اللباب، لابن عادل، ٧٩/٢.

﴿**الْعِجْلَ**﴾ ذكر العجل معرفا في سورة البقرة في هذا الموضع، وفي موضع قبله قال تعالى فيه:﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾(البقرة:٥١)

وحكى القرآن قصة العجل كاملة في سورتي الأعراف وطه؛ يقول في موضع الأعراف:﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾(الأعراف:١٤٨)، ثم تلاه بذكر العجل معرفا في قوله:﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**﴾(الأعراف:١٥٢)، والقيمة البلاغية للتعريف أن (أل) هنا للعهد الذهني؛ لأن ما تقدم من القصص عن العجل وصفته معروف ذهنا، ومعهود بين موسى–عليه السلام– وبين مخاطبيه؛ ولأن المقام مقام حساب؛ كان الكلام على الإيجاز لا البسط والتعيين؛ لذلك جاء الكلام معرفا.

﴿**بَارِئِكُمْ**﴾ جاء التعريف بالإضافة؛ في قوله: بارئكم وهو من الألفاظ المحورية في حديث موسى–عليه السلام– "والتعريف بالإضافة يكون؛ لأنه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أخصر منه؛ أي: يقصد إليه رغبة في الإيجاز"[١].

وتحدثنا عن لفظ البارئ من قبل عند التعرض لدلالات الألفاظ، ونريد هنا أن نشير إلى قيمة بلاغية للتعريف هي الإضافة وسبب اختيار لفظ البارئ وإضافته إليهم، وقد جاء لفظ البارئ مضافا إليهم لناحية امتنانية إقناعية تحاور عقولهم وقلوبهم، وبخاصة أن السياق فيه حديث عن التوبة والرجوع، وليست التوبة مجرد كلمات بل هي أفعال سيقومون بها؛ لذلك اختار من الأسماء العلى لفظ البارئ وعرفه بالإضافة؛ ليكون أوقع في نفوسهم، وبخاصة أن في الحديث بعد ذلك سلب لهذه النفوس التي كان للبارئ فضل في إبرائها من كل عيب.

وقال تعالى:﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾(المائدة:٢١)

---

١) خصائص التراكيب، د. محمد أبو موسى، ص ٢١١.

﴿**الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكم**﴾ جاء الحديث بالموصول للحث على بيان صفة هذه المدينة مع ضرورة النهوض لفتحها، وشمل الخطاب عدة محفزات ومغريات وأوامر ونواه، فبدأ باللين؛ قائلا: يا قومي، ثم تلاه الأمر بالدخول ثم بيان قيمة ما سيقدمون عليه واصفا الأرض بالطهارة والقدسية، ثم تذكيرهم بوعد الله لهم بالدخول، ثم النهي عن الارتداد والإدبار والتولي، فما كان منهم بعد كل هذا إلا عدم الإذعان لأوامره؛ فعوقبوا على هذا كما بين في الآيات التالية عليها.

وبيان قوله عن الأرض المقدسة جاء بالموصول في قوله تعالى:﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لكم﴾وفيه إشارة إلى زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام وهو تعظيم هذه المدينة في نفوسهم والحرص على دخولها والامتثال لما أمر الله به، وعدم تفويت الفرصة.

وقال تعالى على لسان موسى –عليه السلام– بعد عودته من ميقات ربه، وقد فوجئ بما لم يسره من قومه الذين ألفهم على الإيمان، فإذا بهم قد تحولوا عنه إلى عبادة العجل، ولا سبب لهذه العبادة بعد أن نجاهم من فرعون مرتين؛ مرة بالذبح والاستحياء، والأخرى باللحاق والبطش بهم، فحزن لذلك وخاطبهم خطاب المنكر بكلمات تبين حالته النفسية الحزينة، ويظهر ذلك من تكرار الاستفهام؛ قال تعالى:﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾(طه:٨٦)

﴿**الْعَهْدُ**﴾ جاء العهد معروفا للمخاطبين؛ فذكر معرفا بأل للعهد الذهني؛ فهم على علم به من قبل، والعهد يعني "مدة مفارقتي إياكم، والعهد والزمان؛ يقال طال عهدي بك، أي: طال زماني بسبب مفارقتك"[1]، وتحمل لفظة العهد معنيين يحتويهما السياق أشد الاحتواء؛ فالعهد الزمان والوقت كما ذكر النسفي، وسياق الحديث يعطي معنى ثانيا: وهو العهد بمعنى البقاء على الوعد الذي وعدوه لله تعالى ولموسى عليه السلام.

١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي ٣٧٨/٢.

﴿**فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِى**﴾ كان الوعد بالثبات على ما تركهم عليه بعد شق البحر والنجاة من فرعون؛ فذهب لميقات ربه ورجع بنصوص التوراة ووصاياها، فوجدهم قد بدلوا وأخلفوا وعدهم، ونسب الوعد إلى نفسه وهو من "إضافة المصدر إلى مفعوله؛ للقصد إلى زيادة تقبيح حالهم، فإن إخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث إضافته إليه عليه السلام أشنع منه من حيث إضافته إليهم"[1]، وكان قد ذكر في الآية نفسها من قبل حسن الوعد منسوبا إلى الله، فجاء الوعد على التدرج من الأعلى، فكان الوعد من الله؛ قال:﴿**أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا**﴾، واختصاص الوعد بالحسن: أي: "أنه وعدهم أن ينزل على نبيهم كتابا فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا، والآخرة"[2]، وهذا الوعد الحسن المذكور هنا هو المذكور في قوله تعالى:﴿**وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ**﴾(طه:٨٠)

وقال:﴿**رَبِّكُمْ**﴾ مرتين وأضافهم إلى لفظ الربوبية؛ لتربية المهابة وزيادة في بيان الامتنان وتقريعهم على فعلهم؛ لأن صفات الربوبية تقتضي التسليم للرب؛ لأنه الموكل بالتربية والاختيار الحسن لما يصلح لنفوس العباد؛ "فالرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام؛ يقال ربه، ورباه وربيه... والرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات"[3].

وبتحري مواضع التعريف لوحظ اهتمام المنشئ بتعريف بعض الألفاظ، وبخاصة الإضافة التي حملت دلالات التخصيص والتعيين والتعظيم والامتنان، وتنوعت الأغراض حسب الحالة النفسية في الرضا والغضب.

**ثانيا: دلالات تنكير الكلمة داخل الجملة:**

يؤثر التنكير بغية تعميم الأمر وعدم القصد إلى تحديده لقيمة بلاغية يفرضها السياق، وأغراضه متعددة حسب مقتضى الحال؛ كالتعظيم وإفادة الشمول، و"قد يجيء

---

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود ٣٥/٦.

٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٨١/٤.

٣) المفردات، (مادة: ربٌّ).

لفائدة جزلة يقصر عن إفادتها العلم، ولا يبلغ كنهها رسم القلم"[1]؛ ففائدته عظيمة ومما يزيد من هذه الفائدة حسن التوظيف داخل السياق، وأقوال موسى–عليه السلام– في القرآن ليست بمعزل عن توظيف هذا اللون من البلاغة للوصول إلى القيمة الإقناعية؛ ففي حديثه عن اختيار البقرة جاء الكلام متدرجا؛ فبدأ بإبهام نوعها وكان المراد حدوث المعجزة وإظهار القاتل، لكن القصة سلطت الضوء على بعد تكرر كثيرا مع بني إسرائيل حتى صار ظاهرة – ألا وهو التعنت والمماطلة لحد الاستغباء و"كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام"[2].

قال تعالى:﴿وَإِذْ **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧)

﴿**أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ ورد لفظ البقرة في عموم القرآن أربع مرات في سورة البقرة؛ نكرة مرة في الآية الأولى من هذه القصة مع بني إسرائيل، ثم وردت في ثلاثة مواضع تلحقها صفات معينة بغية تحديدها لهم؛ ففي قوله تعالى:﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾، وقوله: ﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾، وقال:﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا**﴾، ونلحظ هنا التدرج والتخفيف من قبل الله تعالى، والمماطلة وإصرارهم التضييق على أنفسهم من قِبل بني إسرائل، وجاءت معرفة ومجموعة مرة واحدة؛ لمَّا تشابه الأمر عليهم؛ في قوله:﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾، وذكر لفظ البقرة نكرة في بداية الحديث و"دل على جواز ورود الأمر بذبح البقرة؛ بقرة مجهولة غير معروفة ولا موصوفة، ويكون المأمور مخيرا في ذبح أدنى ما يقع الاسم عليه، وقد تنازع معناه الفريقان من نفاة العموم ومن مثبتيه واحتج به كل واحد من الفريقين لمذهبه؛ فأما القائلون بالعموم، فاحتجوا به من جهة وروده مطلقا،

---

١) الطراز، للعلوي، ٨/٢.

٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للمطعني ٢/ ١٤٤.

فكان ذلك أمرا لازما في كل واحد من آحاد ما تناوله العموم، وأنهم لما تعنتوا رسول الله –عليه السلام– في المراجعة مرة بعد أخرى شدد الله عليهم التكليف وذمهم على مراجعته بقوله:﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾(البقرة:٧١)"[1]، وأما التنكير في قوله:(بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ) فهو للنوعية؛ لذكره الوصف بعده.

وقال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(إبراهيم:٦)

﴿**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ ورد لفظ البلاء العظيم في حق بني إسرائيل في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع؛ منها هذا الموضع وفي سورة البقرة الآية ٤٩، وفي سورة الأعراف الآية ١٤١، وجاء لفظ البلاء المبين أيضا في حقهم في موضع واحد من سورة الدخان؛ قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ**﴾(الدخان:٣٣)، وذكر البلاء عموما في خمسة مواضع أربعة منها مع قوم موسى –عليه السلام–، ومرة مع ابتلاء المؤمنين في غزوة بدر وذكر بلفظ البلاء الحسن تكريما لهم؛ لأن الحديث هنا عن الغنيمة وما أفاء الله تعالى به عليهم؛ في قوله تعالى:﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(الأنفال: ١٧)، كما جاء لفظ البلاء معرفا في قصة الذبح مع سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى:﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾(الصافات:١٠٤-١٠٦)

والواضح من ذكر البلاء في القرآن الكريم الاختبار بالخير والشر بغية التمحيص والامتحان، وتكرار البلاء مع بني إسرائيل بغية التذكير بنعمة الله عليهم إذ خلصهم من فرعون ونجاهم من بطشه وجبروته، فيذكرهم موسى عليه السلام؛ بقوله: اذكروا نعمة الله عليكم، وفي تنكير لفظ (بلاء) و(عظيم) للتعظيم والتهويل من شأنه، وأنهم لا طاقة

---

١) أحكام القرآن، للجصاص ٤١/١.

لهم به ولا يستطيعون دفعه، ولكن الله أنجاهم ونسب الفعل إلى الله تعالى دون نفسه، تأكيدا لإنعامه.

**المطلب الثاني: تعبير بنية التقديم والتأخير عن مكنونات نفس موسى عليه السلام**

تتكامل الاتجاهات في فهم النص القرآني بين اللغوية والجمالية والنفسية؛ فالنص "قد يكتسب طابعا لغويا بالنسبة للمادة المستخدمة في أقصى حالاتها، ونفسيا بالنسبة للبواعث الدافعة إليه، وجماليا بالنظر للشكل الخارجي للقول والتأثير الناجم عنه، وجميع هذه العناصر حاضرة في النص ودراستها يعني التفقه فيها"[1]، والتقدم له دلالات كثيرة حسب سياق الموقف والحال، ونفسية المتكلم؛ لأن "التقدم في اللسان تبع للتقدم في الجنان... والمعاني تتقدم باعتبارات: العلة والذات والشرف والرتبة والزمان والخفة"[2]، وغيرها حسب غرض المتكلم.

وفي قصة البقرة تقديم وتأخير على مستوى القصة؛ ويتساءل الزمخشري عن سر هذا التقديم؛ يقول: "فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدّم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟ قلت: كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديداً لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدّد فيهم من الآيات العظام. وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين؛ فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرّمة وما يتبعه من الآية العظيمة، وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع"[3]، وقد أدى تقديم الأمر بذبح البقرة على الحديث عن ذكر القتيل أمورا ودلالات؛ منها: التشويق للقارئ الذي يبحث عن سر توجيه الأمر

---

١) علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، د. صلاح فضل، ص ٥٢.

٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، للزملكاني، ص٢٩٠.

٣) الكشاف، ١/١٥٤.

إليهم بذبح بقرة، وتركيزه على مماطلتهم في أمر الله حتى انتهى إلى قصة القتل، وكذلك ما يتمتع به النص القرآني من الإيجاز والتكثيف، فلم يذكر القصة مع بيان تفاصيل واقعة القتل؛ لأن الواقعة وتفاصيلها لا تعني المستمع وإنما هي قصة قتل ككل القصص، ولكن المراد ذكر البقرة وعلاقتها ببيان القاتل، والواضح أيضا من غرض التقديم والتأخير ارتباطه بتشريع معين لتأسيس مجتمع؛ لذا "قدم نبأ قول موسى –عليه السّلام– على ذكر ندائهم في القتيل، ابتداء بأشرف القصدين من معنى التشريع الذي هو القائم على أفعال الاعتداء وأقوال الخصومة"[1].

وفي قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾(الشعراء:٦١-٦٢)

وفي سياق الآية عدة تأكيدات للنجاة وأسبابها؛ فقولهم: (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) على الإخبار المؤكد الذي لا نجاة منه ولا فرار، وأن وقوع الإدراك متحقق لا محالة من خلال الشواهد؛ وبخاصة عند اقترابهم من البحر، فأين يذهبون، أجاب موسى بثقة في الله وعلمه بوعد الله له بعدما تبين من الآيات والمعجزات مع فرعون وسحرته وغير ذلك من البينات، قال:﴿كلا﴾ فنفى ما قالوه موجزا، ثم أتبعه بقوله لهم:(إن معي ربي) "وهذا دلالة النصرة والتكفل بالمعونة"[2]، وتقديم المعية وإسنادها إلى الرب "على معنى مصاحبة لطف الله به وعنايته بتقدير أسباب نجاته من عدوه، وذلك أن موسى واثق بأن الله منجيه؛ لقوله تعالى:﴿إنا معكم مستمعون﴾(الشعراء: ١٥)، وقوله:﴿أسر بعبادي إنكم متبعون﴾(الشعراء:٥٢)؛ كما تقدم آنفا أنه وعد بضمان النجاة"[3]، والموضعان اللذان ذكرت فيهما المعية الإلهية هذا الموضع وموضع آخر مع سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– في قصة الغار؛ قال هنا:﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾، وقال في الموضع الآخر:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(التوبة:٤٠)

---

١) محاسن التأويل، للقاسمي، ٣٢٩/١.

٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٤ / ٥٠٧.

٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٣٥/١٩.

الفرق بين (معي ربي) و(الله معنا) يرجع إلى المقام وأحوال المخاطبين، فالمقام في الأولى مقام فرار وتحقق وقوع الإدراك عقلا؛ لقرب العدو منهم وإغلاق الطريق أمامهم بالبحر؛ فالنجاة غير متوقعة، خاصة في عرف هؤلاء الذين درجوا على المماطلة والتكذيب والحيدة عن المنهج وعدم الاهتداء المطلق؛ كانت الطمأنة بتقديم المعية لتستريح نفوسهم بسرعة ذكر ما يطمئنها، والسياق مختلف مع أبي بكر الصديق؛ فالمقام مقام اختباء والعدو لا يراهم وإمكانية إدراكهم غير محققة لوجود عنصر التخفي والستر وإن كان ضعيفا، فلو نظروا تحت أقدامهم لرأوهم، فإمكانية معرفتهم متعلقة بهذه النظرة، ورغم هذه المخاوف يظهر هنا حال المخاطب الذي لا يخشى على نفسه، وإنما يخشى على الرسالة والرسول؛ لذا بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– الكلام بقوله: (لا تحزن)، وذكر لفظ الجلالة (الله) للتذكير بمهابته وجلاله وقدرته على الحفظ والعناية، وقال:﴿معنا﴾ ولم يقل معي للتشارك في الأمر وتثبيت فؤاد أبي بكر الصديق، ويقول الطاهر بن عاشور:" واقتصر موسى على نفسه في قوله:﴿إن معي ربي سيهدين﴾؛ لأنهم لم يكونوا عالمين بما ضمن الله له من معية العناية فإذا علموا ذلك علموا أن هدايته تنفعهم؛ لأنه قائدهم والمرسل لفائدتهم. ووجه اقتصاره على نفسه أيضا أن طريق نجاتهم بعد أن أدركهم فرعون وجنده لا يحصل إلا بفعل يقطع دابر العدو، وهذا الفعل خارق للعادة فلا يقع إلا على يد الرسول، وهذا وجه اختلاف المعية بين ما في هذه الآية وبين ما في قوله تعالى في قصة الغار (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)(التوبة:٤٠)؛ لأن تلك معية حفظهما كليهما بصرف أعين الأعداء عنهما"[١]، وذكر مقام الربوبية مع قوم موسى –عليه السلام– لحاجتهم في هذا الموقف إلى المعين والحافظ والحامي والصائن وكلها أمور تسهم في اطمئنانهم.

**وقال تعالى:﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(الأعراف:١٢٨)

١) السابق نفسه.

قدم طلب العون على الصبر؛ فقال:﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ أولا، والعون: "الظهير على الأمر[1]، المعاونة والمظاهرة والمساعدة؛ ثم قال:﴿وَاصْبِرُوا﴾ "الصبر: الإمساك في ضيق، وحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا، ونبه عليه بقوله:﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾(البقرة:١٧٧)"[2]؛ ولأن طلب العون عام والصبر خاص؛ فكأنه ذكر ما يحب أن يفعله الصابرون من توجيه الاستعانة بالله والتوكل عليه وطلب العون منه على كل الوجوه حتى في عونهم على الثبات والصبر.

وقال تعالى:﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(الأعراف: ١٤١).

قال موسى لقومه يذكرهم بنعم الله عليهم، ونجاتهم من فرعون بعدما فعل فيهم الأفاعيل بقتل أولادهم ذبحا واستحياء نساءهم، وهذا من أعظم البلايا، وقال موسى –عليه السلام– في موضع آخر في سورة إبراهيم:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(إبراهيم:٦)، وخاطبهم المولى عز وجل بهذا الخطاب مذكرا إياهم بهذه النعم؛ كما في سورة البقرة الآية ٤٩، وقال حكاية عن ظلم فرعون وما فعله بقوم موسى –عليه السلام– في سورة القصص الآية ٤، وقوله: يذبحون بالتشديد للكثرة، وإبقاء النساء للخدمة، وفي الموضعين بلاء عظيم، وقدم ذبح الأولاد على استحياء النساء؛ لأنه أعظم البلاءين؛ "وذكر الذبح بالذات، وهو إحدى وسائل فرعون لسوء العذاب الذي كان يذيقه إياهم؛ لأنه أشدها هولا؛ ولأن إفناءهم هو الغاية، وهو أقرب طرقه، وهو المصدر لما كانوا عليه من الآلام"[3]، فقتل الأبناء أشد

---

١) لسان العرب، لابن منظور، (مادة: عون).

٢) المفردات، للراغب، (مادة: صبر).

٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٢٦/١.

مرارة على الآباء، وإبقاء النساء أشد تعذيبا لهن من جهتين؛ الأولى: قتل أولادهن أوإخوتهن تعذيب نفسي، والثانية: إبقاء النساء بعد ذلك تعذيب نفسي وجسدي، وفي هذا المقام تذكير بما حل بهم من قبل؛ حتى يكون القول أبلغ تأثيرا في إقناعهم بدعوته ومنهجه.

وقال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾(المائدة:٢٠)، وقوله:﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾؛ "يعني السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الجبل، سماهم أنبياء لهذا، (وجعلكم ملوكا)؛ يقول: أحدكم في بيته ملك، لا يدخل عليه إلا بإذن"[1]، وقدم الأنبياء على الملوك في ذكر النعم؛ لأن الأنبياء أشرف منزلة وأعلى قدرا، وقال في الأنبياء فيكم أي: جزء منكم وهم السبعون، وعند ذكر الملوك؛ قال: وجعلكم ملوكا أي: كالملوك في عيشكم.

وقال تعالى:﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾(طه:٦١)، ورد تقديم الويل في صدر الآية في قول موسى –علي السلام–؛ لتعجيل السوء لهم والعقاب حتى يرتدعوا ينصرفوا عن وصفه وأخيه بالسحر، وتكذيبهم المعجزات بعد أن بدت ظاهرة للعيان.

وورد تقديم الويل في قوله تعالى:﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾(البقرة:٧٩) ولهم نصيب من الويل في هذه الآية؛ لأنهم حرفوا الكتاب الذي جاء به موسى –عليه السلام– وهو التوراة، ومن بعده الإنجيل.

**<u>المطلب الثاني: الاختيار بين الخبر والإنشاء ودلالاتهما في أقوال موسى عليه السلام.</u>**

الكلام إما إخبار أو طلب أو بين ذلك وهو الإنشاء غير الطلبي، وقصد المتكلم صيغة معينة يرمي من ورائها إلى غرض بلاغي يعطي الكلام سحرا وبراعة، ويظهر

---

١) معاني القرآن، للفراء، ٣٠٣/١.

في الخبر والإنشاء إيحاءات النفس وخلجات الفكر واهتمام المتكلم بغرض دون غيره، وقد توزعت أقوال موسى –عليه السلام– بين الخبر والإنشاء الطلبي، وجاءت على النحو الآتي:

**أولا: الجملة الخبرية وطبيعة بنائها في الأقوال توجيهيا ودعويا**

الخبر له دور التوصيل وكشف الحدث وتجليته للسامع؛ فقد يقصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم؛ ويسمى فائدة الخبر، أما أن يكون المخبر عالمًا بالحكم، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر"[1]، ولا يقتصر غرض الخبر على هذين الغرضين، وإنما هناك أغرض أخرى يبرزها المقام والسياق.

وجاءت أكثر الأخبار في أقوال موسى –عليه السلام– مؤكدة بإنَّ مما يوحي بالحاجة الملحة إليها في الإقناع ومواجهة المنكرين بالتأكيد على اختلاف درجات إنكارهم أو غفلتهم أو انصرافهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)

بدأ الحديث بتأكيد الخبر بنسبة الظلم إليهم، وأنهم هم من فعل هذا بنفسه، وليس الظلم عاما، وإنما مرتبط بمعصية الخالق تعالى في اتخاذهم العجل إلها، وللتأكيد قيمة في الحث على التوبة والإقبال عليها، وبخاصة أن توبتهم ليست كأي توبة؛ لذا حسن التأكيد، والإنسان الذي لا يشعر بظلم نفسه؛ إنما هو في حاجة إلى الإشفاق، وتأكيد الخبر لهم مع أنه من خصائصهم هو دليل على استهانتهم بالمعصية فلم يلقوا لها بالا، ولم يحاسبوا أنفسهم، فلما أكد الخبر بهذه الطريقة ناسب ذلك أن أغلظ في العقوبة بقتل أنفسهم، وختمت الآية بقول تعالى:﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فأكد لهم قبول الله تعالى توبتهم إن أدوا شروط التوبة، وإذا تاب الله عليهم فسوف يرحمهم؛ لذا قدم التواب على الرحيم؛ لأن الرحمة تعقب التوبة بل هي نتيجة لها، وبهما يكون التدرج في غفران الذنوب.

---

١) الإيضاح، للخطيب القزويني، ٦٩/١.

وفي قصة البقرة بدأ الكلام على التأكيد؛ فقال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧)، فقد ابتدرهم بثلاث كلمات تؤكد خبر الذبح قال:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ وعلى الرغم من هذا التأكيد في إخبارهم ؛ أجابوه بالسخرية ، فرد عليهم بما يوافق مقالتهم بالاستعاذة والتعوذ أن يتقول على الله، ويظهر من موسى–عليه السلام– فهم وإدراك لطبيعتهم وذلك من ملامسة تكذيبهم الأول لحديثه؛ فشرع في كل خبر يقوله بعد ذلك مكررا، قوله تعالى. :﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ ثلاث مرات.

وفي قوله:﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾(الأعراف: ١٢٨)، أفاد الخبر"تسلية لهم وتقريرا للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الأمر"[١]، وفيه تذكير بما حل للأمم قبلهم وعندهم الكتب وعلوم السابقين.

وقال تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(الصف:٥)، قال تعالى: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ واستخدام (قد) للتحقيق وتفيد تأكيد الفعل ويأتي بعدها الماضي، وإذا جاء المضارع فلإفادة القلة، ولكن جاء قول موسى–عليه السلام– هنا (وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) "جملة حالية مؤكدة؛ لإنكار الإيذاء ونفي سببه، وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره؛ أي: والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته؛ إنى رسول الله إليكم؛ لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة"[٢]؛ فأفاد تحقيق علمهم بالرسالة مرة بالجملة الفعلية بقد "وفائدة (قد) تأكيد العلم لا تقليله، وفيه إشارة إلى نهاية جهلهم إذا عكسوا القضية وصنعوا مكان تعظيم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إيذاءه"[٣]، ويرى أبو حيان: أن "قد تدل على التحقق في الماضي والتوقع

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢٩/٣.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢٤٣/٨.

٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ٦/ ٢٩٦.

في المضارع، والمضارع هنا معناه المضي، أي وقد علمتم؛ كقوله: قد يعلم ما أنتم عليه، أي: قد علم، قد نرى تقلب، وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب الفعل"[1]؛ ومما عزز التوكيد مجيء الجملة الإسمية بعد ذلك مصدرة بحرف التوكيد؛ الذي أكد معرفتهم برسالته، وفي هذه المؤكدات دلالة نفسية توحي بالحزن لما بلغه قومه من التكذيب واحتياج مقام الحديث معهم في كل مرة إلى التأكيد على ما يخبرهم به.

وفي قصة الإسرائيلي الذي تشاجر مع رجل من قوم فرعون؛ قال تعالى:﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ...﴾(القصص: ١٥)، وليس لموسى –عليه السلام– في هذه القصة مع الإسرائيلي إلا قول واحد موجه إلى الرجل من قومه؛ قال فيه:﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾(القصص:١٨)، ووصفه بالغواية الواضحة مؤكدا هذا الخبر بمؤكدين؛ لأنه أراد أن يقول إذا كنت قد أنكرتُ الفعل الأول حيث قال بعده:﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾(القصص:١٥)؛ فكيف أقدم على الثاني، وفي الخبر تأكيد شديد ووصف للرجل بالغواية الظاهرة، وقد وصف الشيطان بالعدو المضل المبين مؤكدا نسبة هذه الصفات إليه، وهذه الصفات مما ينكر على الشيطان وفعاله، ولما كرر الإسرائيلي الاستغاثة بعد ما رأى من وقوع قتل في الأولى وصفه بالغوي المبين، وفي الآية تأكيد على نسبة الغواية البيِّنة إليه لما رأى من حاله في الدعوة الثانية، وهذا الموقف على دقته يبين خصلة من خصال بني إسرائيل العجيبة، وهذا الأمر مثار غرابة وتساؤل عن طبيعة هذه التركيبة البشرية المعقدة.

**ثانيا: الجملة الإنشائية في الأقوال ودورها التقويمي**

مبنى الإنشاء الطلب والحث على الفعل أو تركه، وهو قسيم الخبر، وله أدوار توجيهية تقويمية، والإنشاء في أقوال موسى –عليه السلام– جاء على ضربين: إما أن يكون من الله تعالى على لسان موسى –عليه السلام– أو أن يكون من موسى –عليه – تجاه قومه، وبخاصة عندما يرى اعوجاجا يحتاج منه إلى تقويم، ويظهر من

---

١) البحر المحيط، لأبي حيان، ١٠/ ١٦٥.

استخدام الجمل الإنشائية في أقوال موسى –عليه السلام– ميلها إلى النداء، والأمر، والاستفهام.

**١– مواضع النداء ودلالاته**

طلب الإقبال، بأداة من أدواته؛ منها(يا) وهي موضوعة لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقيل مشتركة. وهي التي وردت في أقوال موسى –عليه السلام– دون غيرها من أدوات النداء، ويحمل النداء هنا بعدا نفسيا يكمن في الإقبال الشديد على تنفيذ أوامر الله نواهيه ويبدو حرصه عليهم فهو يعلم من الله ما لا يعلمون، كما يعلم مطلهم وخصالهم الرافضة للطريق المستقيم؛ لذا يعقب النداء دائما؛ إخبار أو أمر ونهي؛ وكثيرا ما يكرر بعد النداء قوله عليه السلام: (يا قوم) ويوحي تركيب النداء بشدة الحرص على إيمان قومه وقربهم منه، ومحاولته استمالة قلوبهم؛ ومعروف أن الرفق مقدم على الغلظة والشدة، خاصة في الدعوة؛ فالدعوة لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**﴾(البقرة:٥٤)، كما ورد النداء في سورة المائدة الآية ٢٠، ٢١، وفي سورة يونس الآية ٨٤، وفي سورة الصف الآية ٥، وفي جميعها أردف أداة النداء بقوله: (قومي)، وفي كل نداء تجسيد للحرص عليهم؛ ففي المائدة دعوة لتذكر نعم الله عليهم، وحث على الدخول إلى الأرض المقدسة، وفي يونس دعوة للتوكل على الله، وفي الصف تساؤل عن سر إيذائه مع علمهم برسالته، كما استخدمَ النداء مع أخيه هارون –عليه السلام– مرة واحدة في عموم القرآن؛ قال تعالى:﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾(طه:٩٢)، وجاء لطلب الإقبال والاستفسار عما حدث لبني إسرائيل فترة غيابه، وفي النداء عتاب لأخيه على التقصير في رد ضلالهم؛ إلا أن هارون عليه السلام نصحهم فلم يمتثلوا لنصحه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾(طه:٩٠).

**٢– مواضع الاستفهام ودلالاته**

من آليات الطلب التي يطلب بها "الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة عملية مجهولة لدى المستفهم، وقد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويستدل على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية"[1]، وجاء الاستفهام في عدة مواضع من أقوال موسى –عليه السلام–، ومواضع الاستفهام يغلب عليها التقرير مرة، والإنكار مرة؛ قال تعالى: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾(الأعراف: ١٥٠)، ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتركتموه غير تام...والعجلة العمل بالشيء قبل وقته"[2]، يستفهم عن أمر لا يصح أن يقع منهم بعدما رأوا من المعجزات الباهرات، ويحمل مضمون الاستفهام حزنا عميقا على ما بذل من جهد في سبيل إنقاذهم من فرعون، وسبق الاستفهام بتسفيه ما جاءوا به وتحقيره.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)، وغلب على الاستفهام في الموضعين إنكار فعلهم؛ فجاء قوله: "أتقولون للحق لما جاءكم؟ على طريقة الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أتقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين؟ وهو أبعد شيء من السحر، ثم أنكر عليهم وقرعهم ووبخهم؛ فقال: أسحر هذا فجاء موسى –عليه السلام بإنكار بعد إنكار، وتوبيخ بعد توبيخ، وتجهيل بعد تجهيل"[3]، ومراد كلامه كيف يجتمع النقيضان إلا في العقول الخاوية والقلوب المريضة، كيف يقال للحق أنه باطل وقد ماز الخبيث من الطيب وانتم شهداء على ذلك.

وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(الصف:٥)، أفاد الاستفهام إنكار الإيذاء عليهم مع علمهم بصدقه ورسالته الحقة ونفي أسباب الأذى، وهم يعلمون في علومهم دور الرسول في علاج أمراض المجتمع؛ ليكون صالحا معدا للعبادة والعمران.

---

١) البلاغة العربية، للميداني، ١/ ٢٥٨.

٢) روح البيان، إسماعيل حقي، ٣/ ٢٤٥.

٣) فتح القدير، للشوكاني، ٥٢٨/٢

وفي قوله تعالى:﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾(طه:٨٦)، والوعد الحسن هو التوراة وما فيها من الهدى والشرائع، والاستفهام في قوله:﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ تقريري؛ أي: وعدكم وعدًا صادقًا، بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره، فقد وعدكم بإنزال الكتاب الهادي إلى الشرائع والأحكام، ووعدكم الثواب العظيم في الآخرة"[1]، ثم انتقل الاستفهام الإنكاري، منكرا ما أحدثوه، وكأن السبب هو طول عهدهم، وفيه توبيخ وتقريع؛ فالإيمان ما وقر في القلب لا يتغير بهذه السرعة؛ لذلك كانت (الهمزة) في قوله:﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ تفيد "النفي والإنكار وأَمْ منقطعة بمعنى بل، والمعنى: أفطال عليكم الزمان الذي فارقتكم فيه؟ لا إنه لم يطل حتى تنسوا ما أمرتكم به"[2]، وتساءل موسى –عليه السلام– عن سبب عصيانهم ومخالفتهم له فاستفهم منكرا فعلهم، لمَّا لم يجد سببا مقنعا يدعوهم إلى هذا الجحود والنكران.

قال تعالى:﴿**قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾(طه:٩٢-٩٣)، يخاطب موسى –عليه السلام– أخاه عن أسباب حدوث هذا التحول في المنهج إلى عبادة قومه "يا هارون ما منعك أن تتبعني في شدة النكير على المخالف والقسوة على العاصي؟، أي: هلا قاتلتهم إذ قد علمت أنى لو كنت بينهم لقاتلتهم في ذلك قتالا عنيفا، أفعصيت أمري؟ وكان أمره له: (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)(الأعراف:١٤٢). ويصح أن يكون المعنى أفعصيت أمري لك بالقيام لله ومنابذة من خالف دينه، وأقمت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلها!"[3]، فكان يرى ألا يكون معهم هارون–عليه السلام– بهذا اللين الشديد، ورأى أنه كان من الأولى لهارون–عليه السلام– ألا يتوقف عن صرفهم عما هم فيه، لذلك نزله في خطابه له منزلة من يشترك معهم مبالغة في العتاب.

---

١) حدائق الروح والريحان، للأمين العلوي ٣٧٥/١٧.

٢) التفسير الوسيط، لطنطاوي، ٩/ ١٣٨.

٣) التفسير الواضح، لحجازي ٥٠٣/٢.

ويقول الرازي:" لعل موسى –عليه السلام– إنما أمره بالذهاب إليه بشرط ألا يؤدي ذلك إلى فساد في القوم، فلما قال موسى–عليه السلام–:﴿**مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ**﴾، قال: لأنك إنما أمرتني باتباعك إذا لم يحصل الفساد فلو جئتك مع حصول الفساد ما كنت مراقبا لقولك"[1].

ثم انتقل إلى خطاب السامري مستفهما وموبخا إياه على فعلته؛ قائلا:﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**﴾(طه:٩٥)، "وقوله: (ما خطبك) كما تقول ما شأنك وما أمرك، لكن لفظة الخطب تقتضي انتهارا؛ لأن الخطب مستعمل في المكاره، فكأنه قال ما نحسك وما شؤمك وما هذا الخطب الذي جاء من قبلك"[2]، والخطب الأمر يقع كالمصيبة مثلا.

**٣– مواضع الأمر ودلالاته**

الأمر؛ طلب الفعل على وجه الاستعلاء بعدد من الصيغ المعروفة، لكن الصيغة التي جاءت في أقوال موسى –عليه السلام– كانت بصيغة الفعل(افعل)، وهي الصيغة المباشرة من بين صيغ الأمر، ويكثر الأمر في خطاب موسى –عليه السلام– لقومه حيث يحثهم فيه على الالتزام بما أمرهم الله به مع وجوب طاعته؛ للانتفاع بها في حياتهم وآخرتهم؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)؛ قال: (فَتُوبُوا... فَاقْتُلُوا)، والأمر بالتوبة يعقبه الأمر بالقتل تفسيرا لآليات التوبة النصوح في شريعة موسى –عليه السلام–، وفيه حث على الفعل واتباع الأمر حتى يتوب الله عليهم.

ودعاهم في سورة إبراهيم إلى تذكر نعمة الله عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأمرهم بذكر نعمة الله عليهم إذ من عليهم بالنبوة وجعلهم ملوكا كما في سورة المائدة، وهما من أكبر نعم الله على بني إسرائيل؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾(المائدة:٢٠)، (إبراهيم :٦)

---

١) مفاتيح الغيب، للرازي، ٩٤/٢٢.

٢) المحرر الوجيز، لابن عطية ٦١/٤.

وأمرهم بالاستعانة والصبر على البلاء، فالعاقبة لمن اتقاه واتبع رضاه؛ قال تعالى:﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾(الأعراف:١٢٨)، كما حثهم على اتباع أمر الله بدخول الأرض التي كتبها الله لهم؛ فقال:﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾(الأعراف:٢١)، والأمر فيه تبليغ وزيادة حرصه على قومه.

**المطلب الرابع:الاختيار بين الإيجاز والإطناب في الأقوال وعلاقتهما بالحالة النفسية**

يتنوع الكلام بين الإيجاز مرة والبسط مرة أخرى وفي ذلك دلالته على الحالة النفسية للمتكلم، والمقام الذي تخير له جمله وعباراته، وقد برز في أقواله –عليه السلام– حذف بعض الكلمات لدواعي السياق، كما أطنب في مواضع أخرى لضرورة الموقف.

**أولا: الإيجاز بالحذف ودلالاته**

من الخصائص الأسلوبية لأقوال موسى –عليه السلام– الحذف في تركيب الجملة لأغراض المقام التي تدعو إلى حذف ركن من التركيب لأسباب تتعلق بالسامعين من بني إسرائيل، وهذا الباب من أبواب البلاغة التي يعتمد عليها المتكلم في العملية الإقناعية؛ فهو "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة؛ وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن؛ وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"[١]؛ وتتنوع هذه المحذوفات بين الحروف والكلمات والجمل لدواعي المقام والمناسبة اللفظية والمعنوية؛ ومنها:

**حذف الياء** من قوله: يا قومي؛ قال تعالى في غير موضع من قصص موسى –عليه السلام–:﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ﴾، ومن نماذجه في أقواله: حذفت الياء "لأن النداء موضع حذف والكسرة تدلّ عليها وهي بمنزلة التنوين، فحذفتها كما تحذف التنوين

١) دلائل الإعجاز ص ١٦٣.

من المفرد، ويجوز في غير القرآن إثباتها ساكنة فتقول:(يا قومي)؛لأنها اسم وهي في موضع خفض"[1]

تعدد **ذكر (إذ)** في القصص القرآني، وبخاصة مع نبي الله موسى –عليه السلام–؛ وهي تعني: واذكر إذ حدث كذا وكذا، مخاطبا رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث يذكره بقصص الأمم السابقة تسلية لفؤاده وتخفيفا عما يعانيه في دعوته، قال تعالى حكاية عن موسى–عليه السلام–:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ في خمسة مواضع في سورة البقرة الآيتان٥٤–٦٧،وسورة المائدة الآية٢٠، وسورة إبراهيم الآية ٦،وسورة الصف الآية٥.

ومن أشكال الحذف **اكتفاء**؛ قول بني إسرائيل عن البقرة عند سؤالهم موسى–عليه السلام–:﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ**﴾(البقرة:٧٠)، فعلم من سؤالهم عن صفة البقرة، بدليل ورودها في الجواب؛ في قوله:﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ**﴾(البقرة:٧١)

ومن أشكال الحذف أيضا **حذف المفعول الثاني** لعلم المخاطب به من سياق الكلام؛ قال تعالى:﴿**إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ**﴾(البقرة:٥٤)؛ و(العِجْل) مفعول أوّل، والثَّاني محذوف أي: إلهاً أو معبودا، وسر الحذف "أنهم لم يظلموا أنفسهم بهذا القدر؛ لأنهم لو اتخذوه ولم يجعلوه إلها لم يكن فعلهم ظلما، فالمراد باتخاذكم العجل إلها، لكن لما دلت مقدمة الآية على هذا المحذوف حسن الحذف"[2]، وما يفهم من التلميح يكون أقوى من التصريح، فلما علل لظلم النفس باتخاذ العجل فُهم منه معنى الشرك.

وفي قوله تعالى:﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤) عدة محذوفات؛ منها: قوله:﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ والمفضل عليه محذوفٌ للعلم به، أي: خيرٌ لكم من عدم التوبة، وقولُه تعالى:﴿فَتَابَ

---

١) إعراب القرآن، للنحاس١/ ٥٤.

٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ٣/٥١٥.

عَلَيْكُمْ﴾ في الكلامِ حذف، وهو "ففعلتم ما أُمرتم به من القتل فتاب عليكم"[1]، وهو مفهوم من حدوث التوبة ووقوعها.

ويحمل الحذف بعدا نفسيا كبيرا فتكرار لفظ مثل قوله: (ياقوم) في أكثر من آية ثم يأتي في بعض الآيات الأخرى فلا نرى لهذا التركيب الذي اعتدناه من موسى –عليه السلام– والذي يحمل في طياته الحرص والحنو على قومه، فلابد أن هناك سرا لهذا الحذف؛ فمثلا قوله:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾(المائدة:٢٠)، ﴿**يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(المائدة ٢١) وغيرها؛ فذكر (يا قوم)، ثم هو هنا في أقوال أخرى يحذف هذا التركيب؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾(البقرة:٦٧)، حذف هنا، لأن الكلام جاء على صيغة الأمر، وليس الأمر استحبابا، وإنما يقتضي الأمر المباشرة والتعجيل بذكر ما طلب منهم؛ وفي قوله تعالى:﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا**﴾(الأعراف:١٢٨)؛ دعوة إلى الاستعانة والصبر وعدم الضجر، والمواساة والتذكير بقدرته تعالى على تغيير الأحوال لما فيه صالح العباد.

قال تعالى:﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)؛ وهنا حذف لسرعة المعاتبة على ما بدر منهم، وقد جاء الكلام على صيغة الاستفهام الإنكاري، وليس المقام مقام دعوة بل عتاب وتسفيه لما جاءوا به من نسبة الباطل وهو السحر إلى الحق الواضح عنادا منهم، ومثله قوله تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾(إبراهيم:٨)؛ وأيضا هنا المقام مقام عتاب شديد؛ ولضيق المقام لم يذكر هذا التركيب، وقال أيضا:﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي**﴾(الأعراف: ١٥٠)، في مقام الغضب منهم والأسف عمد إلى إظهار غضبه، وإلى وصف حالهم بالذم، وليس المقام مقام دعوة.

---

١) الدر المصون، للسمين الحلبي، ٣٦٧/١.

والواضح أن ذكر تركيب يا قوم يكون إذا كان المقام مقام دعوة وحث على الامتثال لأوامر الله تعالى، أما إذا كان المقام مقام تقريع وتوبيخ وذم؛ فيحذف تركيب النداء من صدر كلامه مكتفيا بتوجيه الجملة خالية من التقديم اللين معهم.

وفي مواضع الغضب لا يقدم- كما بينت الدراسة- بقوله: (ياقوم) بل أحيانا تظهر نبرة الوعيد والذم، وقد حظي بنو إسرائل في النص القرآني بورود تراكيب معينة لم ترد في القرآن إلا معهم، حيث ورد قوله:﴿بئسما﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن في بني إسرائيل؛ منها ما ذكره موسى -عليه السلام-:﴿**قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي**﴾، وقوله تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**﴾(البقرة:٩٠)، وقوله: ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(البقرة:٩٣)

**ثانيا: الإطناب في الأقوال وضرورته المقامية**

زيادة اللفظ على معناه لفائدة يتطلبها السياق، وهو يعبر عن قدرة المتكلم على توضيح ما يريد مع جذب السامع وتوصيل أقواله إليه بوضوح تام ؛ ومن الإطناب التكرير وهو "أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر"[١]، وجاء التكرار في قوله في آيتين متاليتين ﴿**يَاقَوْمِ... يَاقَوْمِ**﴾(المائدة: ٢٠-٢١)، "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة هو الغرض من الخطاب، فهو كالمقصد بعد المقدمة، ولذلك كرر اللفظ الذي ابتدأ به مقالته وهو النداء بـ يا قوم لزيادة استحضار أذهانهم"[٢]، ونظرا لأهمية أمر الدخول إلى المدينة بدا من تكرار هذا التركيب حرص موسى -عليه السلام- على استجابتهم ونجاحهم في هذا الاختبار.

وفي قصة البقرة كرر موسى -عليه السلام-؛ قوله تعالى: **(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ)** ثلاث مرات في ثلاث آيات متتالية؛ لقصد التبليغ عن الله لما رأى من مماطلتهم، وخوفه ألا يأتمروا بما دعوا إليه، موكدا الجملة بإن مرتين حرصا منه على الامتثال

١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ١/ ٦٢.

٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٦/ ١٦٢.

والإذعان، والتكرار أيضا في قوله:﴿**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾؛ لإثبات وسطية السن، وبين ذلك لفظ (عوان) بعد التكرار.

ومن الإطناب-**الاعتراض**-: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة[1]، ومنه قوله تعالى:﴿**ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾(البقرة:٥٤) جملة معترضة تحمل إيحاءات نفسية وتبدو نيته -عليه السلام- في الحرص على قومه؛ وللتعريض بالتوبة الموحية بتفضيل الالتزام بما شرع الله عليهم؛ ليتوبوا إليه، وينقذوا أنفسهم من عذابه الأشد وهو عذاب الآخرة.

**<u>المطلب الخامس: الفصل والوصل ودورهما في التعبير عن طبيعة مسار الأقوال وتراكيب الجمل.</u>**

يقوم الفصل والوصل بدور فاعل في ربط الجمل بعضها بعض، ويعطي الأديب لونا من الارتياح في التنقل بين الجمل على اختلاف أنواعها حسب السياق؛ فالانتقال من الخبر إلى الإنشاء مثلا يعطي الكلام تنوعا في الأخذ والرد والمناورة في الخطاب، ويدفع الملل عن السامع الذي يتلقى المتضادات مرة يخبر ومرة يطلب منه أمر، ويعرف الوصل بأنه الربط باستخدام الواو، والفصل ترك العطف، ونلقي الضوء هنا على آيتين يتبين من خلالهما تغير المعنى ودلالته عند استعمال الوصل في واحدة وتركه في الأخرى، لأسباب تتصل بسياق السورة والحدث داخل السورة، والسوابق واللواحق من القصة التي وردت فيها؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(الأعراف:١٤١)

وقال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(إبراهيم:٦) ؛ فقد ترك حرف الربط هنا وذكره في الموضع الآخر، "فإن قلت: ما الحكمة في ترك العاطف هنا-أي في سورة الأعراف- في قوله: (يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ)؟

---

١) بغية الإيضاح، للصعيدي، ٣٥٩/٢.

وذكره في سورة إبراهيم؟ قلت: لأن ما هنا من كلام الله تعالى فوقع تفسيرا لما قبله، وما هناك من كلام موسى–عليه السلام–، وكان مأمورا بتعداد المحن؛ في قوله:﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ فعدد المحن عليهم، فناسب ذكر العاطف[1]، والأولى في الأعراف مقول المولى عز وجل، وفيه تذكير بأنواع العذاب وأهمها: الذبح والاستحياء، أما الآية الثانية فصدِّرت بقول موسى –عليه السلام– يذكرهم بنعم الله فزاد في النعم تخليصهم من كل ألوان العذاب والظلم، ومنها الذبح والاستحياء وغيرهما.

ورود لفظ القول كثيرا في أقوال موسى –عليه السلام–؛ ودلالة ذلك حذف بعض الجمل المفهومة من السياق، وفيها استثارة لانتباه السامع الذي يتابع الحوار متابعة المتشوق إلى التزود بالأخبار والمعارف، والذي يتوق في الوقت نفسه إلى معرفة النتائج؛ وهو نوع من الفصل يسميه العلماء شبه كمال الاتصال، ويتجلى هذا النوع من الفصل في حوار موسى –عليه السلام– مع قومه حول ذبح البقرة لمعرفة القاتل من بينهم؛ فمن بداية قولهم لموسى –عليه السلام– (قالوا ادع لنا ربك) حيث فصلت عما قبلها؛ لتنزيلها منزلة الجواب عن سؤال مفهوم من الآية السابقة؛ وهي تثير سؤالا مفاده؛ ماذا فعلوا بعد أن قال لهم موسى –عليه السلام– (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)؛ (قالوا أتتخذنا هزوا)، وماذا كان جواب موسى –عليه السلام– قال: أعوذ الله أن أكون من الجاهلين. فما كان ردهم؛ قالوا: ادع لنا ربك؛ وفي هذا يقول عبد القاهر: "واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصولاً غير معطوف هذا هو التقدير فيه"[2]، أي أن المستمع يقدر كلاما بين القول الأول والقول الثاني يجبر به الفصل بين الجمل، لتكتمل صورة المشهد أمامه.

**المطلب السادس: آلية الالتفات ودورها في بيان التحول في الانفعالات النفسية**

الانتقال من حال إلى حالة أخرى مطلقا؛ وله مزية في تنشيط الذهن وإثارته، وكل انتقال أو عدول يؤثر لا شك تأثيرا على السياق، وبخاصة إذا كان العدول يقصد

---

١) حدائق الروح، للأمين العلوي، ١/ ٣٧٦.

٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص٢١٢.

به توصيل رسالة للسامع مفادها الانتباه واليقظة؛ والبحث عن سر العدول والانتقال، وقد ظهر في الأقوال استخدام موسى –عليه السلام–هذه الآلية في مواضع من كلامه للتعبير عن تحولات نفسية يعقبها تحول وعدول عن نسق تركيبي آخر، ويوحي هذا العدول بوجود موقف يستتبع تحولا في طبيعة التركيب حتى يناسب مشكلات قومه؛ ومن هذه المواضع:

- **الالتفات من التكلم إلى الغيبة**

ففي قوله تعالى:﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)، تحول من التكلم معهم في قوله: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ إلى خطابهم خطاب الغائب في "قوله:﴿فتاب عليكم﴾ ظاهر في أنه من كلام الله تعالى عند تذكيرهم بالنعمة، وهو محل التذكير من قوله:﴿وإذ قال موسى لقومه﴾؛ فالماضي مستعمل في بابه من الإخبار، وقد جاء على طريقة الالتفات؛ لأن المقام للتكلم فعدل عنه إلى الغيبة، ورجحه هنا سبق معاد ضمير الغيبة في حكاية كلام موسى–عليه السلام"[١]، وأصل التركيب أن يقول:(فتاب عليهم) بالغيبة، ولكن قال: (فتاب عليكم) بالخطاب؛ "لأن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم"[٢] وفي الانتقال إلى خطابهم تمكين للمعنى في نفوس الحاضرين؛ لأن القصد إلى معاقبة من شهد هذه الواقعة دون غيره، ولأن كل جيل من بني إسرائيل كان يثير مشكلات تختلف عن الجيل الذي قبله؛ فيأتي الأمر بما يوافق كل مخاطب منهم على حدة؛ ولذلك تعددت لهم الرسل وكثرت لديهم الأنبياء.

وفي الموضع التفات من الأمر إلى الماضي، قال تعالى: :﴿**فَتُوبُوا ... فَاقْتُلُوا ... فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾ والأمر في خصائصه يحمل معنى الاستقبال، فكان الأصل أن يسير الكلام على جهة الاستقبال، (فتوبوا، فاقتلوا، فسوف يتوب عليكم)، ولكن العدول أعطى

١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٥٠٥/١

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود ١٠٢/١،

دلالة السرعة في المجازاة على التوبة عند تحول النية إلى الحق قبل ظهور أسبابها، وفي التعبير عدم التيئيس من رحمة الله تعالى.

- **الالتفات في المعجم**

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ**﴾(يونس:٨٤)، حيث أتى بالإيمان أولا في قوله :﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ ثم التفت إلى لفظ الإسلام؛ في قوله:﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾، وأصل التركيب أن يسير على ما يناسب الإيمان، وسر العدول هنا مع اختلاف اللفظ؛ "لإرادة إن كنتم موصوفين بالإيمان القلبي وبالإسلام الظاهري، ودلت الآية على أن التوكل على الله والتفويض لأمره من كمال الإيمان، وإن من كان يؤمن باللهِ فلا يتوكل إلا على الله لا على غيره"[1]، فكان المنتظر تكرار صفة الإيمان مرة أخرى، فعدل السياق إلى ذكر الإسلام؛ كأنه أراد أن يقول لابد أن تتوافر فيكم صفة الإسلام أولا ثم صفة الإيمان بعد ذلك، وسر العدول" لأن الإيمان بالله يقتضي الإسلام وأن يكونوا مسلمين"[2]، كما أن التوكل سمة أساسية في المسلم والمؤمن على حد سواء.

## المبحث الثالث: الصور البيانية ودلالاتها التعبيرية في أقواله عليه السلام.

تمثل الصورة رؤية المتكلم واختياراته بين ألفاظ الحقيقة والمجاز؛ هذه الاختيارات التي تبين مقدرته في التوصيل والتواصل بينه وبين السامع، وتعبر عن وعيه بمواضع استخدام التراكيب المباشرة، أو غير المباشرة، وترتبط الصورة ارتباطا كبيرا بالموقف وسياق الكلام الذي يجعل من استخدامها أمرا ضروريا، ولم تخلُ مواضع أقوال موسى –عليه السلام– من توظيف لصور: التشبيه والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية، حيث جاءت كالتالي:

**أولا: دور التشبيه في توصيف أحوال قومه**

---

١) حدائق الروح ١٢/ ٣٢٦.

٢) تفسير الشعراوي ١٠/ ٦١٥٢.

ومعناه "أن تثبت لهذا معنًى من معاني ذاك، أو حُكماً من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحُجة حكم النُّور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل، كما يُفصل بالنور بين الأشياء"[1]، وقد ورد التشبيه في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾(المائدة:٢٠)، فلما أراد موسى –عليه السلام– أن يذكرهم بفضل الله عليهم حتى يتخذوا مما هم فيه من نعم مثلا في التمسك بمنهج الله الذي ساق إليهم هذا الفضل بعد ما كان من معاناة وذل في عهد فرعون؛ فقال لهم: **(وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا)**، على طريقة التشبيه البليغ، وفي قوله هذا تقريب لصورة النعيم التي يتمتع بها هؤلاء فجعلهم "كالملوك في تصرفهم في أنفسهم وسلامتهم من العبودية التي كانت عليهم للقبط، وجعلهم سادة على الأمم التي مروا بها"[2]، وفي قوله قبلها: **(جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ)**؛ أي من نعم الله عليكم أن اختص بعضكم بتحمل النبوة والنصح والتذكير، وهذه نعمة للصالحين منكم، واختار حرف الجر (فيكم) دون (منكم) لأنها أدخل في التعبير عن منِّه وعطائه، وأعقبها بأن من على الجميع بما يشبه حياة الملوك في ترفها.

**ثانيا: توسيع الدلالات بالاستعارة في بعض الأوصاف**

وهي نقل اللفظ من الحقيقة إلى المجاز توسعا، وقد وردت الاستعارة في مواضع من أقوال موسى–عليه السلام–؛ ومنها ما جاء في قوله تعالى:﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ**﴾(البقرة: ٧١) وأتي بلفظ تثير على سبيل المجاز، والمعنى تقلب الأرض، وهو تعبير مفعم بالقوة والنشاط، ويفهم منه صغرها وخلوها مما يعيب غيرها من درن أو مرض، وأنها غير خاضعة مستأنسة، بل جعلها حرة طليقة؛ وهذه أوصاف لا تجتمع في كل البقر بل إن صفة البقر الأساسية هي الاستئناس، وقد كانت هذه الأوصاف بمثابة سمات لها، لسهولة التوصل إليها.

---

١) أسرار البلاغة ص ٦٨.

٢) التحرير والتنوير٦/ ١٦١.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)، وهو من أقواله –عليه السلام–؛ وله إيحاءات نفسية تعبيرية عبر عنها عن طريق توظيف الاستعارة، والحق لا يجيء، وإنما أورد الكلام على طريقة الاستعارة التبعية المكنية؛ للتشخيص وجذب انتباه السامع إلى الحق وكأنه إنسان له روح يجيء، وسر جمال الاستعارة هنا إضافة الحياة إلى الإيمان في مقابل عدم فلاح السحر الذي سرعان ما ينتهي أثره.

**ثالثا: توظيف المجاز المرسل في التعبير عن بعض العلاقات**

تتنوع علاقات المجاز المرسل حسب طريقة المتكلم ومقصدياته التي تجعل من إطلاق المذكور أمرا أقل إثارة وبلاغة، فيبحث عن المراد حيث تتجلى فيه كل مقاصد المتكلم في التعبير عن الموقف، ويعرف المجاز المرسل بأنه ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة[١]، وقد جاء المجاز المرسل من بين اختيارات موسى –عليه السلام– في أقواله؛ ومنها قوله تعالى:﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾؛ أي: يستبقون بناتكم ويتركونهن حيّات؛ استبقاء للخدمة، وذكر النساء، وإن كانوا يفعلون هذا بالصغائر؛ لأنه سماهن باسم المآل؛ لأنهم إذا استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ؛ ولأنهم كانوا يستبقون البنات مع أمهاتهن، والاسم يقع على الكبيرات، والصغيرات عند الاختلاط[٢]، فقد أطلق النساء عامة والمراد ما يكون عندهن القدرة على العمل الشاق والخدمة، وهي خصيصة موجودة عند البنات اللاتي لم يصرن نساء بعد، والمراد من إطلاقه هنا عموم المذلة لجميع نساء بني إسرائيل كبيرهم وصغيرهم؛ وهذا أكثر إيلاما وأنكى في إذلالهم، ثم تذكيرهم بهذا الإذلال بعد ذلك على لسان موسى عليه السلام.

وقال تعالى:﴿**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾(البقرة:٥٤)، في قوله تعالى:﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ مجاز مرسل علاقته اعتبار

---

١) انظر/علوم البلاغة: أحمد بن مصطفى المراغي، ص ٢٤٩.

٢) حدائق الروح والريحان، ١/ ٣٧٧.

ما يئول إليه، أي أسلموها للقتل تطهيرا لها، أي لينفذ هذا الحكم الصادر، وهذا أحد الأقوال في القتل، وقيل المراد بقتل الأنفس تذليلها وكبح جماحها؛ فإن القتل يرد بمعنى التذليل[1]، وظاهر اللفظ القتل وهو المراد في شريعتهم عقابا لهم، وقد أطلق القتل والمراد الإذعان والخضوع الذي يسلمها إلى تنفيذ حكم القتل فيها.

**رابعا : تأثيرات الكناية والتلميح في الأقوال**

وهي طريقة من طرق الأداء البلاغي يعتمد عليها المتكلم إذا لم يُرد التصريح؛ يقول أبو هلال العسكري: "ومن البصر بالحجّة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعرا؛ وكانت الكناية أحصر نفعا"[2]، ووردت بعض الجمل بطريق الكناية في أقوال موسى –عليه السلام–؛ قال تعالى: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(إبراهيم:٦) والتعبير بـ (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) كناية عن العمل على إفنائهم وتخضيد شوكتهم وإبعادهم عن مواطن السلطان، وذلك بذبحهم أحيانا، ووضعهم في مواضع الذل والمهانة، والغاية ألا يكون لهم وجود قائم بذاته"[3]، وقد يُحمل اللفظ على الحقيقة لكن الكناية تعطي بعد أكبر للتعبير عن صراعات فرعون مع بني إسرائيل ومعاناتهم معه طوال مكثهم في مصر، فعبرت الكناية عن أن المراد هو إفناء الذكور خوفا من صدق كلام الكهنة والعرافين الذين رأوا نهاية فرعون على يد صبي من أبناء بني إسرائيل.

وقوله:﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لونها﴾ تفيد الكناية وصف شدة جمالها وحسنها؛ فهي تسر كل ناظر، وقد كان هذا الوصف تسهيلا للتعرف عليها والوصول إليها.

---

١) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ١/١٠٤.

٢) الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص١٥.

٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ١/ ٢٢٥.

## المبحث الرابع: الأساليب البديعية وخصائصها الأسلوبية.

البديع له دور كبير في بيان كنه المعاني والألفاظ ولا يقتصر على التزيين بل هو ركن مهم من أركان الكلام البليغ، وتقسيمه إلى معنوي ولفظي يعبر عن سعته وأن كل جمال في صياغة تركيب الجملة لا يخضع لأبواب المعاني والبيان يدخل ضمن جماليات البديع؛ وهو جامع لكل فنون القول وبحر في استيعاب ما يمكن أن يتوصل إليه محلل أو يُقَعِّد له مُقعِّد، ومن جمالياته؛ أن استعمال ألفاظ متقاربة في المادة اللغوية يعبر عن دلالة نفسية خاصة بمنتج الخطاب ومستخدم هذا الأسلوب، فذكر متقابلات في التركيب أو تورية في الكلام أو غير ذلك يعبر عن وعي المتكلم مع موافقة اختياره لهذا التعبير أو ذاك، ويكون الحكم للمستمع في قبول هذا الاختيار منه أو عدم قبوله، وقد جاء من هذا الفن في أقوال موسى –عليه السلام– وكان له دور في إبراز حالته النفسية بين الرضا والغضب، ومن الأساليب البديعية الواردة في أقواله عليه السلام:

- **رد الأعجاز على الصدور**

نوع من تكرار اللفظ مرة في صدر الكلام ومرة بإعادته في آخر الكلام سواء هو نفسه أو عن طريق الاشتقاق، وهو من الفنون اللفظية القائمة على التنبيه باستخدام جرس الصوت حتى ينتبه السامع إلى سر هذا التكرار الذي يحمل معاني يريد المتكلم التركيز عليها، وقد "سمَّاه المتأخرون التصدير؛ ومنه ما وافق آخر كلمة من البيت او الفقرة أول كلمة منه"[1].

جاء هذا النوع من التفنن في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾(طه:٦١)، ، وهو مناسب للمقام وأخف على السامع والمخاطب، وفي الآية تكرار للفظ (الافتراء) حيث أتي بالنهي عن الافتراء في أول الآية وختم الآية به، فقد ووسم من افترى بالخيبة والخسران، وهو فن لفظي يعتمد على تكرار اللفظ مرة في أول الكلام وأخرى في آخره بغية إحداث جرس وتواصل بين اللفظ الأول والثاني؛ ليدعوا المستمع إلى الانتباه إلى مقصود المتكلم، وهنا

---

١) تحرير التحبير، لأبي الإصبع، ص١١٦.

يريد حثهم على نبذ خصلة الافتراء والاختلاق ونسبة ذلك إلى الله وأنبيائه الذي هو من أخص خصالهم المنافية للفطرة السليمة؛ فقد قالوا من قبل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(المائدة:٦٤).

- **الجناس اختيار أسلوبي**

تعبير يعتمد على تكرار اللفظ مع عدم الالتزام بموقعه في الكلام سواء أولا أو آخرا، وهو يقوم على التشابه في اللفظ، وأكثر وروده في أقوال موسى –عليه السلام– على طريقة جناس الاشتقاق، أي أن أصل اللفظ واحد مع الاختلاف في نوعيته؛ ومنه قوله تعالى:﴿**يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)؛ وقوله: (فَتُوبُوا)–(فَتَابَ)–(التَّوَّابُ) من الجناس الاشتقاقي بين الكلمات؛ لأن ذكر التوبة أكثر من مرة وبطرق مختلفة يدعو القلب إلى النظر والتأمل عن سبب تكرار هذه المادة، والسر في ذلك راجع إلى دوران الآية حول سياق التوبة والعودة والرجوع إلى الله.

وقال تعالى:﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)، (أَسِحْرٌ–السَّاحِرُونَ) ذكر مادة سحر مرتين؛ ودلالته إبطال السحر، فسرعان ما ينتهي مفعول السحر عند من ابتلي به، وهذا لا يحدث مع الحق والإيمان فله حلاوة تلامس القلوب لا تنفك عنها.

وقال تعالى:﴿**يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي**﴾(طه:٨٦)؛ (يَعِدْكُمْ –وَعْدًا –مَوْعِدِي) كرر مادة الوعد على طريقة الجناس الاشتقاقي؛ للتركيز على الوعد وعلى إقامة الحجة عليهم في إخلافه.

ولعل تكرار ألفاظ (التوبة– السحر– الوعد) يعد مؤشرا أسلوبيا على اتجاه أسلوب الدعوة والبلاغ مع بني إسرائيل، الذين تكررت معاصيهم وهم في حاجة ماسة إلى التوبة عن فعالهم، وكذلك انتشار السحر في بيئتهم وقد أرسل الله نبيه موسى –

عليه السلام- لإبطال هذه العادات الذميمة ومحاربتها، وأما الوعد؛ فبنو إسرائيل هم أكثر الناس مطلا وخيانة ونقضا للعهد والوعد.

- **مراعاة النظير أو التناسب المعنوي**

ومراعاة النظير ضرب من المناسبة في المعنى؛ وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه"[1]، قال تعالى:﴿**قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾(البقرة:٧١) فأتى بعدة ألفاظ بينها لون من التناسب؛ فقال:﴿لا ذلول- تثير- ولا تسقي-مسلمة - لا شية فيها) وقد اجتمعت هذه الصفات لتبرئ البقرة من أي عيب يمكن أن يلحق بغيرها، وهو ما دعاهم إلى التسليم.

- **التذييل والفاصلة**

والمراد بالتذيل هنا الجملة الأخيرة من الآية، والمراد بالفاصلة الكلمة التى تختم بها الآية من القرآن، ولعلها مأخوذة من قوله سبحانه:﴿**كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(فصلت: ٣)، وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة، وهذا لأن التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان؛ فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت، إذ تصبح الآية لبنة متميزة فى بناء هيكل السورة[2].

نميل هنا إلى الحديث عن الفاصلة مرتبطة بالجملة التي ختمت بها الفاصلة مع النظر إلى اللفظ الأخيرة من الجملة؛ وقد تنوعت الفواصل القرآنية في أقوال موسى -عليه السلام- وجاءت على نوعين: الأول: الأسماء والصفات؛ وجاءت على عدة أشكال: أسماء الله وصفاته، أوصاف حسنة، أوصاف غير حسنة، وأوصاف أخرى. والثاني: الأفعال: ووردت على ثلاثة أشكال: الماضي، والمضارع(الحال)، والاستقبال. وبين آخر الكلام وأوله مناسبة تجعل الإتيان بغير الفاصلة الواردة أمرا غير مقبول عن السامع الفظن الذي يميز ويعي علاقة الكلام بعضه ببعض، وذلك بأن يحمل آخر

---

١) بغية الإيضاح، للصعيدي، ٥٨٣/٤.

٢) انظر/ من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص٦٤.

الكلام مضمونا مطابقا لما قبله؛ ليكون الكلام متناسقا غير متنافر؛ يقول قدامة في باب نعت ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت: "أن تكون القافية معلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه"[1]، وبالائتلاف بين الفاصلة وما قبلها، يكون التمكين وهو أن تكون "الفاصلة قارة في مكانها لا نافرة ولا قلقة"[2].

وقد جاءت كل الفواصل متوافقة مع ما تقدم من الكلام بل إن خصوصية بلاغة الفاصلة تتجلى في أقوال موسى –عليه السلام– في تعبيرها عن دلالات هذا الاختيار والإيحاءات المحسوسة من وراء اختيار هذه الفاصلة دون غيرها؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤) ختمت الفاصلة بالتواب الرحيم مناسبة لما تقدم من الحديث عن التوبة إلى الله بعدما أحدثوا من عبادة العجل، وقدم التواب على الرحيم؛ لأن الرحمة تعقب التوبة، وقد أعقبت الرحمة التوبة في ثمانية مواضع من القرآن الكريم في سورة البقرة الآيات ٣٧، ٥٤، ١٢٨، ١٦٠، وفي سورة النساء الآيات ١٦، ٦٤، وفي سورة التوبة الآيات ١٠٤، ١١٨، وفي اختيار الفاصلة هنا تعبير عن ثبوت هذه الصفات لله عز وجل، وهو من قبيل إقناعهم بالاستجابة لهم إن هم بادروا بخطوات التوبة، ولم يكتف بذكر هذه الصفات العلى لله تعالى بل جاء بها في أسلوب التأكيد والقصر قائلا: **(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)**.

ومثله قوله تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾(إبراهيم:٨) جاء الكلام على سبيل الشرط، فالكفر لا يرجع وباله إلا على القوم الكافرين، وختم الكلام بما يناسب ما تقدم في المعنى بقوله: **(**فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**)** الغني الذي ليس في حاجة إلى أحد، والحميد الذي يحمده عباده وهم في حاجة إليه، وذكر الغني الحميد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع في البقرة:٢٦٧،و الحج:٦٤،

---

١) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، ص ٦٢.

٢) خصائص التعبير القرآني، للمطعني، ٤٦٧/٢.

ولقمان١٢، ٢٦، وفاطر:١٥، والحديد:٢٤، والممتحنة:٦، والتغابن:٦، وسر المناسبة بين الفاصلة وما تقدم من الكلام في أن الكافر لا يعطي الله شيئا، ولا يضر الله معصية من عصاه ولا طاعة من أطاعه، فهو المنعم المستغني عن العباد، والعباد في حاجة إليه دائما، فإذا أعطاهم من فضله فيحمدونه على عطائه؛ ولذا فهو الحميد.

وقد يحذف المفعول في الفاصلة حتى يذهب السامع كل مذهب في تقدير ما يراه مناسبا للمقام؛ ولهذا يكون ترك الذكر أولى من الذكر، وجاء هذا في قوله تعالى:﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾(طه:٦١)، فقد خاب من حصَّل ولو نوعا واحدا من الافتراء؛ لذلك جاء الافتراء على العموم، فكل الافتراء غير مقبول، وقد وافق الإتيان بالكلمة مختومة بالألف اللينة سياق الآيات السابقة واللاحقة عليها إذ الفاصلة في سورة طه على هذا الشكل، وكل كلمة متمكنة في موضعها.

وقد تؤخَّر في أقوال موسى-عليه السلام- الصفةُ المفردة على الصفة من الجار والمجرور وتفصل عن الموصوف؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(البقرة: ٤٩)، (الأعراف:١٤١)، (إبراهيم :٦)،"وأهم دواعيه إحداث الإيقاع، حيث فصلت الصفة عن الموصوف؛ لأنها حاملة للمد المعتاد قبل حرف الفاصلة كما في (عظيم)، هذا مع إحداث التمكين للمعنى الذي ينتظره القارئ"[١]، فلما أراد أن ينسب البلاء والاختبار إلى الله تعالى لم يؤخر نسبته بعد الصفة، فيضيِّع دقة المعنى، ولكن جاور بين البلاء والرب للتقرب بين السبب والمسبب من وعي السامع ليكون أوقع في النفس، ويحمل التذييل تعظيم كل شيء من ألفاظ التذييل حيث ناسب بين اسم الإشارة (ذلكم) و(البلاء من ربكم) ولفظة عظيم في آخر الآية.

- **دور الطباق في بيان معاناة موسى -عليه السلام- في دعوتهم**

للطباق دور بارز في إظهار المتضادات وترسيخها في الذهن، وهو من الأساليب البديعة في نظم الكلام، وله خصائصه الأسلوبية ودوره الفاعل في الخطاب،

١) فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، السيد خضر، ص ١٠٩.

ورد في أقوال موسى- عليه السلام- في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾(البقرة:٦١) أي: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو أعلى؛ فقال بالذي هو خير على طريقة الطباق الخفي مستخدما الأسلوب الحكيم في توجيههم، وكأنه يقول الأولى والأفضل وما فيه الخير لكم هو ما أنزله الله عليكم؛ لأنه أرفع قدرا ، وفي الآية استفهام يفيد إنكار ما أقدموا عليه.

## المبحث الخامس: السياق والمقامات التعبيرية للإيحاءات النفسية وعلاقة ذلك بأسلوب الدعوة وشخصية موسى عليه السلام.

تشير السياقات المتعددة التي توزعت على عدة سور من القرآن الكريم مسيرة الدعوة عند موسى–عليه السلام، الذي انعكس بدوره على أقواله في الرضا والغضب، لذا نحاول في هذا الجزء تسليط الضوء على مسيرة أقواله وإيحاءاتها النفسية اعتمادا على مناسبات الأقوال.

وقد ظهر أدب موسى –عليه السلام– مع قومه في أقواله معهم حتى في الغضب؛ والأدب كما يقول الجرجاني هو "عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[1].

فالناظر في أقواله يلمس حرصه على قومه ورفقه بهم وشجاعته وجرأته في الحق معهم؛ والرفق من الأساليب الدعوية التي تميز بها خطاب موسى –عليه السلام– على الرغم ما اشتهر به من الشدة والقوة والبطش، ومعنى الرفق: "اليسر في الأمور واللطف فيها والسهولة والتوصل إليها، وهو ضد العنف وهو التشديد في التواصل إلى المطلوب"[2]، ويظهر ذلك جليا في استخدامه هذا التركيب: (يا قوم) وهو تركيب يوحي بالحنو والقرب الجسدي والروحي وهو أحد أسباب الإذعان والخضوع؛ قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران:١٥٩)، وقد ورد في أقواله كثيرا تركيب (ياقوم)، وبخاصة في مقامات الدعوة والإبلاغ ولم الشمل.

وفي حال الغضب يظهر نوع آخر من الحرص على من ارتكب جرما خالف به الله عز وجل؛ فينتفض لرد هذا العاصي، وإن كان الواضح من الألفاظ الثورة والغضب والأسف؛ كما في آيتي (الأعراف:١٥٠) و(طه :٨٦) والدعوة بالويل والتهديد كما في سورة طه:٦١؛ إلا أن هذه الثورة ليست إلا خوفا عليهم من اتباع أهوائهم التي يدرك –

---

١) التعريفات، للجرجاني، ص ٢٩.

٢) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص٢١٣.

عليه السلام- خطأها؛ فيحثهم في أسلوب شديد إلى العودة عما أحدثوه من أفعال يعاقبون عليها في الدنيا والآخرة.

واستخدام موسى -عليه السلام- عددا من الأساليب المختلفة بين الأمر والنهي والاستفهام في الغضب والرضا، وقد تنوعت مشاربها للوصول إلى الإمتاع والإقناع المطلوبين في طرق المخاطبة، وزاوج بينهما ليكونا" أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب وتوجيه سلوكه لما يصحب هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء ونفوذ في إشهاده للمخاطب كأنه يراها رأي العين"[1]

وقد استطاع النظم القرآني في براعة وإعجاز أن ينقل أقوال موسى -عليه السلام- ومحاوراته مع بني إسرائيل في إيجاز شديد؛ لأننا أمام قوم مطل عرفوا بالمماطلة والخديعة ونقض العهد، ويظهر ذلك من نماذج كثيرة وردت في القرآن؛ كقصة البقرة ومماطلتهم، ودخول المدينة المقدسة وعبادة العجل بعد أن نجاهم الله من فرعون؛ ولكي تعبر اللفظة القرآنية مفردة وفي سياقها عن هذه الأحداث جاءت متجددة بتجدد الدهر والأيام وكثرة التلاوات واختلاف الأفهام "ومفردات القرآن الكريم حقائق ثابتة تخضع لها حركة الحياة، وإن حقائق مفردات القرآن متعددة بتعدد حاجات مخلوقاته، وحركة الحياة خاضعة لمفردات القرآن الكريم توصيلا وتفصيلا وحقيقة"[2]

ويختلف الأسلوب في سياق الأمر والنهي بالشد على أيديهم؛ فيحذف تركيب (يا قوم) ليكون الكلام مباشر في الحث على الأفعال، ويظهر من الأقوال أسلوب الإلحاح فيما لا يعلمون خيره ويراه قريبا ويرونه بعيدا، فيكون الكلام على الحمل الشديد على الفعل؛ كما حدث في دخول الأرض المقدسة؛ حتى أن ظهور حرصه عليهم وإلحاحه في الدخول؛ جعل رجلان يقولون ما ذكره القرآن؛ قال تعالى: ﴿**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(المائدة:٢٣)

---

١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص ٣٨.

٢) القرآن القول الفصل بين كلام البشر وكلام رب العالمين، محمد عفيفي، ص٥٥.

ولما يئس منهم وتوصل إلى ذروة عنادهم وكفرهم؛ قال: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾(المائدة:٢٥)، فعاقبةُ صبره عليهم مع ظهور عنادهم دعاه إلى اللجوء إلى الله في افتراقه عن القوم الفاسقين الذين خرجوا عن منهج الله ولا ينتظر صلاحهم. ويظهر هذا الأسلوب في دعاء موسى –عليه السلام– ربه بعد أن يئس من إيمان فرعون وملئه وبعض قومه؛ قال: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾(يونس:٨٨)؛ وتعددت سبل التعبير ومقاماته في أقواله –عليه السلام– وفي السطور القادمة ننظر إلى هذه المقامات وإيحاءاتها النفسية.

**مقامات أقواله وإيحاءاتها النفسية مع تنوع سياقاتها:**

ويظهر من خطاب موسى –عليه السلام– عدة مقامات وسياقات دار حولها خطابه لهم؛ من هذه المقامات:

**أولا: مقام الدعوة والتبليغ:**

وفي مقام الدعوة يظهر حرص النبي على قومه، ومحاولة إقناعهم بشتى الطرق والترفق في خطابهم حتى لا ينفر منه أحد ممن يدعوهم إلى الحق وإلى الاستعانة بالله تعالى والصبر على الأذى، فالله تعالى ناصر دينه والغلبة في كل وقت للحق مهما علا الباطل، كما يحثهم على التقوى وحسن العبادة؛ قال تعالى :﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾(الأعراف:١٢٨-١٢٩)

كما يدعوهم إلى البرهنة على إيمانهم بحسن التوكل على الله تعالى، ويربط إسلامهم وتسليم أمرهم لله تعالى بصدق الإيمان؛ وقال تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾(يونس: ٨٤-٦)

وفي مقام التبليغ تتبين الشرائع وأن من أذنب ذنبا منهم – وبخاصة عُبَّاد العجل – فعليه أن يتوب فيقتل نفسه حتى يتوب الله عليه؛ قال تعالى على لسان نبيه موسى – عليه السلام–: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة: ٥٤)، وقوله تعالى أيضا يأمرهم بذبح البقرة؛ ليتبين القاتل منهم: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة :٦٧)

**ثانيا: مقام الامتنان بالنعم:**

امتن تعالى على بني إسرائيل بنعم عظيمة وآيات ومعجزات كثيرة، فأعطى موسى –عليه السلام– تسع آيات بينات، وأرسل إليهم كثيرا من الرسل والأنبياء، وجعل فيهم الأنبياء وجعلهم ملوكا؛ لكنهم قتلوا الأنبياء وكذبوا الرسل، ويُظهر خطاب موسى – عليه السلام– لهم هذه النعم التي اصطفاهم بها دون غيرهم؛ قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾(المائدة:٢٠)، وقال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾(إبراهيم:٦)، وفي الآيتين من أقوال موسى –عليه السلام– إيجاز جامع للنعم التي وهبت لهم؛ لكنه جمع كل ما منَّ به الله عليهم، فجعلهم أنبياء، وجعلهم ملوكا، وأنجاهم من فرعون، وكان هذا من أعظم البلايا التي تعرضوا لها.

**ثالثا: مقام الحجاج:**

الإقناع بالحجة من المقامات التي بدت واضحة في خطاب موسى –عليه السلام–؛ فإقامة الحجة والإقناع والبرهان من الأمور المهمة في استمالة الخصوم، وهي من المرتكزات الأساسية في دعوة الرسل؛ ومن هذا المقام قوله تعالى:﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾(يونس:٧٧)، لأن وصف

المناهج الإلهية بالسحر شأن كل المعاندين الذين كذبوا الرسل، ولعل الجامع بينه وبين السحر هو الانتقال من الباطل إلى الحق–على النقيض من ذلك السحر فهو يصور الباطل حقا–في سهولة حين يسري الإيمان في القلوب فتتشرب حبه وتستريح من عناء الكفر وضلاله.

وفي مقام آخر يقيم الحجة عليهم في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾(إبراهيم:٨) فبين هنا استغناء الله تعالى عن خلقه، فهم المحتاجون إليه، وأبرز (أنتم) لإقامة الحجة وتخصيصهم بالخطاب، ويقول أيضا:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾(الصف:٥)، لم الأذى وانتم تعلمون أني رسول، مع ما تعلمون من خصال الرسول ورسالته في الهداية والإصلاح.

**رابعا: مقام التخويف والتهديد والعقاب:**

وخطاب التهديد والوعيد من الخطابات التي توقظ النفس؛ "فالانفعالية في اللغة تعبر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: اختيار الكلمات وبالمكان الذي يخصص لها في الجملة، يعني أنَّ معيني الانفعالية الأساسيين هما المفردات والتنظيم... وعنصر الاختيار هو ما يميز اللغة الانفعالية من غيرها"[1]، ولأن المجازاة بالخير والشر موافقة للنفوس البشرية التي ألهمت الفجور والتقوى، لذلك اهتم موسى –عليه السلام– بهذا الخطاب وذكر القرآن كثيرا من هذه الخطابات، وبخاصة مع بني إسرائيل؛ قال تعالى:﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾(المائدة:٢١-٢٢)، **وقال تعالى:**﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾(طه:٦١)

[1]) اللغة / فندريس ١٨٦ -١٩١.

وظهر العقاب في خطاب السامري في قوله تعالى:﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾(طه:٩٧)

**خامسا: مقام الاستعاذة بالله:**

تعوذ موسى بالله تعالى في موضعين من القرآن في قوله لبني إسرائيل عندما أمرهم بذبح البقرة، قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(البقرة:٦٧)، وقال تعالى:﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾(غافر:٢٧)، والاستعاذة في الأولى جاءت ردا على بني إسرائيل من أن يتجرأ على الله ويبلِّغ عنه ما لم يأمره به، وفي الثانية تعوذ بالله من كل متكبر عن الإيمان بالله والتصديق برسالاته، كما ورت الاستعاذة على لسان موسى–عليه السلام– ثالثة في قوله تعالى:﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ**) (الدخان:٢٠)

**وبعد النظر والتحليل والدرس لأقوال نبي الله موسى –عليه السلام– في القرآن الكريم، وقد آثر البحث تسليط الضوء عليها بدراسة خاصة لمعرفة كيف كان خطابه وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل البارزين، وأكثر قصص القرآن الكريم يتوجه إلى تفصيل دعوته وعلاقته بفرعون أولا وبقومه ثانيا، وجاءت بعض نتائج الدراسة كالآتي:**

- اعتماد التراكيب في أقوال موسى –عليه السلام– على وصفين مهمين: الأول: الرفق في الدعوة واللين في الكلام، والثاني: السخرية وليست هنا للهدم، وإنما لبناء مجتمع خال من الأخطاء والمعتقدات الفاسدة.
- ربط اللفظ بالظروف المحيطة به مما جعل اللفظ المختار متمكنا غاية التمكن، ويؤدي دوره في التعبير عن كنه النفس تعبيرا دقيقا، مع توظيف الألفاظ توظيفا يخدم أغراض التعبير ومقاماته.

- غلب النداء على أقوال موسى –عليه السلام–، فورد في أغلب أقواله يحمل أغراضا مختلفة؛ منها القرب والإشفاق، ومنها شدة البلاغ والنهر عند مخالفة أوامر الله؛ فللنداء قدرة على بيان مكنونات النفس وإظهار الحرص والمودة.
- حملت أغراض الاستفهام اتجاه الإنكار؛ فهو الغالب على أقواله إلى جانب معاني أخرى؛ كالتوبيخ والتقريع.
- كثرة مجيء الأمر في أقواله؛ فقد سيطر على مساحة عريضة منها، ويرجع ذلك إلى ما عُهد عن بني إسرائيل من المماطلة؛ لذا كان الأمر حقيقيا مباشرا.
- كثرة الأخبار المؤكدة التي تفيد تقرير الكلام وتمكينه، فينزلهم في أقواله منزلة المنكرين دائما، ويؤدي استخدام التوكيد في الأقوال إلى تمكن موسى –عليه السلام– من أدواته ورسالته وطاعته لخالقه لأنه تعالى ناصره، وفي الوقت ذاته يظهر ضعف بني إسرائيل وجهلهم.
- دور العدول والانحراف عن التركيب إلى آخر كما في التقديم والتأخير، والالتفات في إبراز ما يوحيه غرض القول في إثارة الذهن وجذب الانتباه.
- للفصل والوصل قيمة في ربط الجمل وإظهار علاقات التراكيب التي غلب عليها الخبرية والإنشائية، كما كثر ورود اللفظ قال في حكاية القرآن لأقواله.
- قلة الصور البيانية في أقواله؛ فغلبت عليها المباشرة في اللفظ والحمل على المعاني الحقيقة؛ وهو من إدراكه العميق لحال قومه، وما مر به من التجارب معهم وتحريفهم الكلم، وكفرانهم المتكرر رغم ظهور المعجزات.
- البديع له خصائصه الأسلوبية؛ والاعتماد على الطباق والجناس والتكرار، ورد العجز على الصدر، والتناسب والتذييل والفاصلة واضح في أقواله، وهذه الأنواع في تكاملها تعطي إشارات وأبعادا نفسية عميقة وتبين الحرص على الإفهام والتوضيح والبسط.
- أدّيا التذييل والفاصلة دورا كبيرا في تأكيد مضمون الآية، فعادة ما تختم الآية بجملة تؤكد معنى ما تقدم من أقواله.

**توصيات البحث:** يوصي البحث بدراسة أقوال الأنبياء جميعا دراسة بلاغية تداولية، والنظر إليها في إطار علم النفس؛ للوصول إلى الإشارات النفسية للأقوال وأساليبهم في الدعوة، ومعرفة الاتفاق والاختلاف بين المخاطبين.

## المصادر والمراجع


- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الأسلوبية، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، د. صلاح فضل، فصول، مجلد٥، العدد الأول، أكتوبر ١٩٨٤م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط ١٩٩٥ م.
- إعراب القرآن؛ أبو جعفر النَّحَّاس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار اليمامة، دمشق – بيروت، ط٤ ، سنة ١٤١٥هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (د.ت).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لا بن عجيبة، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني تحقيق: خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٨٤م

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي، دار الهداية، (د.ت).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة ١٩٨٤هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١-١٩٨٣م
- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١٣٨٣هـ.
- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، (د.ت).
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ،مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٤٦م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠، ١٤١٣ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر ، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، مراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، (د.ت).
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة،(د.ت).
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤، (د.ت).
-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت، (د.ت).
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية–الدار النموذجية، ط١، (د.ت).
- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر ، بيروت، (د.ت).
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، (د.ت).
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥ م.
- الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرون، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١٤١٩هـ.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق د. فير محمد حسن، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٣٩٨ هـ، وتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام طباعة دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م.
- علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان،(د.ت).
-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، سنة١٤١٤هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،(د.ت).
- فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د/ السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢٠٠٩.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- القرآن القول الفصل بين كلام البشر وكلام رب العالمين، محمد عفيفي، ذات السلاسل، الكويت، ط١٩٩٧م.
- الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية –بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- لطائف الإشارات، للقشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، (د.ت).
- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الجليل الدواخلي وآخرون، مكتبة ألا نجلو المصرية، القاهرة، ط١٨٥٠م.
- محاسن التأويل، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة١٤٢٢هـ.
- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، سنة١٩٨١م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي؛ تحقيق: يوسف علي بديوي،دار الكلم الطيب، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ..
- المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية دمشق، ط١، عام ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام ١٩٧٩م.

-من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر – القاهرة، ط٢٠٠٥م.
– المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٠م.
– نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢م.